الإسلام

دين الله في الأرض وفي السماء

الطبعة الأولى : ١٤٠٦ هـ ـ ١٩٨٦ م

الطبعة الثانية : ١٤٠٨ هـ ـ ١٩٨٨ م

الطبعة الثالثة : ١٤١٠ هـ ـ ١٩٩٠ م



دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع ـ المنصورة ش.م.م

الإدارة والمطابع : المنصورة ش الإمام محمد عبده المواجه لكلية الآداب

ت ٣٤٢٧٢١ / ٣٥٦٢٢٠ / ٣٥٦٢٣٠

المكتبة : أمام كلية الطب ت ٣٤٧١٢٣ ص . ب ٢٣٠ تلكس DWFA UN 24004

نحو تأصيل إسلامي للتاريخ
الدين

أخطاء يجب أن تصحح في التاريخ

الإسلام ﷺ

دين الله في الأرض وفي السماء

الدكتور جمال عبد الهادي محمد مسعود
الأستاذ المساعد بقسم التاريخ الإسلامى
كلية الشريعة والدراسات الإسلامية
جامعة أم القرى (سابقا)

الدكتورة وفاء محمد رفعت جمعة
الأستاذة المساعدة بقسم التاريخ الإسلامى
« طالبات » كلية الشريعة والدراسات الإسلامية
جامعة أم القرى (سابقا)

دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع - المنصورة . ش.م.م

بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على محمد النبى الأمين .

ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ونشهد أن محمداً عبده ورسوله . اللهم صلى على محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا .

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم :

﴿ ربنا تقبل منا إنك أنتَ السميُع العليم . ربنا واجعلنا مسلمَيْن لَكَ ومن ذريتنا أمة مسلمةً لكَ وأرنا منا سكَنا وتُبْ علينا إنك أنتَ التوابُ الرحَيم ﴾

(البقرة : ١٢٧ - ١٢٨)

الرسالة الأولى :

هذه الرسالة تحتوى على :

المنطلقات الفكرية الخاطئة للمستشرقين ومن سار على نهجهم ، وأثر ذلك على تدوين أحداث التاريخ :

المنطلق الأول : حيوانية الإنسان الذى يُؤرخ له ، وإنكار أبوة آدم عليه السلام للبشرية .

المنطلق الثانى : هدم الدين الإسلامى . وكونه نظام حياة شامل صالح لكل زمان ومكان . ووسائلهم لتحقيق ذلك :

(أ) التجاهل والتجهيل بالبداية الحقيقية لتاريخ الدين الإسلامى ، بالبداية الحقيقية لتاريخ الأمة المسلمة ، الواقع التطبيقى لهذا الدين .

(ب) تبنى منهج مقارنة الأديان .

(جـ) التجاهل والتجهيل والتشويه المتعمد لصورة الخالق عز وجل ولسير الأنبياء والرسل صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين مع تجريحهم والتشكيك فى عدالتهم بل والتشكيك أحيانا فى وجودهم أصلا مع محاولة تصويرهم بمظهر المصلحين الذين استكملوا صفات معينة أعانتهم على ادعاء تكليفهم برسالات من عند الله عز وجل .

(د) استبعاد القرآن والسنة من بين المصادر المعتمدة عليها مع الاعتماد على التوراة والإنجيل المحرفتين .

وقد أسفرت التصحيحات التى قمنا بها – بحول الله تعالى – لهذه المنطلقات فى ضوء التصور الإسلامى عن النتائج التالية :

أولا : أن الإنسان مخلوق مكرم بنفخة من روح الله ، والبشر جميعا ينتسبون لآدم عليه السلام .

ثانيا : البداية الحقيقية لتاريخ الدين الإسلامى قبل خلق آدم بآماد لا يعلمها إلا الله تعالى .

ثالثا : الإسلام هو ملّةُ الأنبياء قاطبة وإن تنوعت شرائعهم واختلفت مناهجهم (١) .

رابعا : اليهودية والنصرانية بدعة وليست من الله تعالى(٢) .

خامسا : البداية الحقيقية لتاريخ الأمة المسلمة ، لا تبدأ فقط ببعثة محمد ﷺ ولكن ترجع إلى زمن خلق آدم مسلماً موحداً .

سادسا : فساد مناهج ومصادر ومراجع ومادة ما يسمى « بالتاريخ القديم » التى تتجاهل بضعة آلاف من السنين من تاريخ الأمة المسلمة وقد حولته إلى تاريخ وثنى جاهلى محض لا أثر فيه لدعوة الرسل والأنبياء عليهم السلام ؛ والتى تقسم أيضا تاريخ البشرية إلى قديم ووسيط وحديث .

سابعا : مناهج ومصادر ومراجع ومادة ما تسمى بالتاريخ القديم (للجزيرة العربية والعراق وبلاد الشام « سورية وفلسطين » ومصر ، وإيران وتركيا وأوروبا) يقوم فى أغلبه على منهج معادٍ للدين الإسلامى ولرسله ولأنبيائه .

ثامنا : فساد منهج مقارنة الأديان .

تاسعا : ضرورة الاعتماد على القرآن الكريم والسنة النبوية عند التاريخ للأمة المسلمة منذ أقدم الدهور .

عاشرا : استبعاد التوراة والتلمود والتفاسير والشروح العبرانية والإنجيل عند التاريخ للأمة المسلمة ، وكذلك ....

حادى عشر : عدم جواز تلقى المسلم عن غير المسلم فيما يتصل بتفسير بواعث النشاط الإنسانى وبحركة التاريخ الإنسانى والإسلامى .

---

(١) تفسير القرآن العظيم ، جـ ١ ، ص ١٨٦ .

(٢) الجامع لأحكام القرآن ، جـ ٢ ، ص ١٣٢ .

تمهيد

﴿ **تبارك الذى بيده الملك وهو على كل شىء قدير . الذى خلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملا وهو العزيز الغفور** ﴾ (١) .

خلق الله الإنسان وقد أخذ عليه العهد بأنه مالكه ، ومتعهده بالإصلاح والتربية ، وصاحب الحق فى وضع الشريعة (٢) والمنهاج الذى يجب أن يخضع لها حياته : ﴿ وإذ أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى شهدنا أن تقولوا يوم القيامة إنا كُنَّا عن هذا غافلين . أو تقولوا إنما أشرك آباؤنا من قبل وكنا ذرية من بعدهم أفتهلكنا بما فعل المبطلون (٣) ﴾ .

إذا فالغاية قد تحددت بوضوح أى أن الإنسان قد خلق ليكون عبداً لله الواحد القهار : ﴿ وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون ﴾ (٤) . ولن تكون العبودية كاملة إلا إذا : تمثل العبد قوله تعالى ﴿ قل إن صلاتى ونسكى ومحياى ومماتى لله رب العالمين ، لا شريك له وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين ﴾ (٥) .

وذلك يعنى أن غاية النشاط الإنسانى بما فى ذلك طلب العلم لابد وأن تكون محكومة بالقاعدة الشرعية : ﴿ وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا وأحسن كما أحسن الله إليك ﴾ (٦) .

ومن هذا المنطلق قال رسول الله ﷺ : « من سلك طريقا يلتمس فيه علما

---

(١) الملك : ١ - ٢ .   (٢) وهو كل ما شرعه الله لتنظيم الحياة البشرية .
(٣) الأعراف : ١٧٢ - ١٧٣ .
(٤) الذاريات : ٥٦ .
(٥) الأنعام : ١٦٢ - ١٦٣ .
(٦) القصص : ٧٧ .

سهل الله له طريقا إلى الجنة ، وإن الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم رضا بما يصنع ، وإن العالم ليستغفر له من فى السموات ومن فى الأرض حتى الحيتان فى الماء ، وفضل العالم على العابد كفضل القمر على سائر الكواكب ، وإنَّ العلماء ورثة الأنبياء ، إن الأنبياء لم يورّثوا دينارا ولا درهما ، إنما ورثوا العلم ، فمن أخذه أخذ بحظ وافر » (١) .

ومن هذا المفهوم قال رسول الله ﷺ : « طلب العلم فريضة على كل مسلم ، وواضع العلم عند غير أهله كمقلد الخنازير الجوهر واللؤلؤ والذهب » (٢) .

وفى هذا المعنى قال رسول الله ﷺ : « تعلموا العلم ، فإن تعلمه لله خشية وطلبه عبادة ، ومذاكرته تسبيح ، والبحث عنه جهاد ، وتعليمَهَ لمن لا يعلمه صدقة ، وبذله لأهله قربة ، لأنه معالم الحلال والحرام ، ومنار سبل أهل الجنة ، وهو الأنيس فى الوحشة ، والصاحب فى الغربة ، والمحدّث فى الخلوة ، والدليل على السراء والضراء ، والسلاح على الأعداء ، الزّيْنُ عند الأخلاء ، يرفع الله به أقواما فيجعلهم فى الخير قادة قائمة تقتص آثارُهم ، ويقتدى بفعالهم ، وينتهى إلى رأيهم ، ترغب الملائكة فى خلّتهم ، وبأجنحتها تمسحُهمْ ، ويستغفر لهم كلّ رطب ويابس وحيتان البحر وهوامُّه ، وسباع البر وأنعامه ، لأن العلم حياة القلوب من الجهل ، ومصابيح الأبصار من الظلم ، يبلغ العبد بالعلم منازل الأخيار والدرجات العلى فى الدنيا والآخرة ، التفكر فيه يعدل الصيام . ومدارسته تعدل القيام ، به توصل الأرحام ، وبه يعرف الحلال من الحرام ، وهو إمام العمل ، والعمل تابعه ، يلهمه السعداء ويحرمه الأشقياء (٣) .

ودور العلم الإسلامية ليست مطالبة بتحديد الهدف ، ولا ابتداع المنهج ولا ابتكار مادته ، وإنما أمامها كتاب الله تعالى وسنة النبى محمد ﷺ وما عليها

---

(١) رواه أبو داود ، والترمذى وابن ماجة وابن حبان فى صحيحه ، والبيهقى .

(٢) رواه ابن ماجة وغيره .

(٣) رواه ابن عبد البر النمرى فى كتاب العلم وقال : هو حديث حسن .

إلا تطبيق المنهج وتهيئة الطرق والوسائل والأدوات الكفيلة بهذا التطبيق ، وهذا التطبيق لا يتأتى إلا بعد استيعاب المنهج وفقهه .

وأصالة أى منهج تعليمى فى أى بلد إسلامى لا مقياس له سوى هذا :

مدى الالتزام بكتاب الله تعالى وسنة الرسول ﷺ – واستيعاب مضمونهما ، وعدم الخروج عليهما بما يناقضهما أو يناهضهما .

والمحزن حقًا أن ما تسمى بالعلوم الإنسانية بما فى ذلك العلوم التاريخية والحضارية والأثرية قد أعدت وجهزت – مع تعرض الأمة المسلمة للغزو العسكرى والفكرى قبيل إسقاط الخلافة الإسلامية – لخدمة أهداف غير أهداف الأمة المسلمة ، التى حددها القرآن الكريم وسُنة النبى محمد ﷺ ومما لا شك فيه أن انفصام مناهج التعليم عن القرآن والسنة وابتعادها التدريجى عن الأخذ المباشر عنهما – مع تعرض الأمة المسلمة للغزو العسكرى والفكرى بحيث أصبحت لها مناهج بديلة « عن كتاب الله عز وجل ، هذا الانفصام جر على التربية نتائج خطيرة ما كانت لتحدث لو ظل القرآن والسنة هما محور المنهج ومصدره .

إن التزام المنهج بكتاب الله وسنة الرسول محمد ﷺ كان يستطيع حماية التربية من السقوط والجمود الذى انتهت إليه والذى نشاهد نتائجه الآن فى المجتمعات المعاصرة .

ولكى يمكن للعلوم التاريخية والحضارية (بما فى ذلك الجانب المادى وهى الدراسات الأثرية) أن تؤدى دورها فى إعداد الفرد المسلم لبنة المجتمع الإسلامى ، وبمعنى أدق صياغة أفراد المجتمع من الناحية السلوكية والخلقية والعقلية طبقًا للنموذج الذى رسمه الإسلام للفرد المسلم ، لابد وأن تعود لها أصالتها الإسلامية . والأمة المسلمة ليست مخيرة فى ذلك : ﴿ وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمرا أن يكون لهم الخيرة من أمرهم ﴾ (١) .

وهذا هو السبيل ، ولا طريق سواه ، إذا رمنا إعداد جيل مسلم يتحمل

---

(١) الأحزاب : ٣٦ .

أمانة الدعوة إلى دين الله والجهاد فى سبيل الله لتكون كلمة الله فى الأرض – كل الأرض – هى العليا وكلمة الذين كفروا هى السفلى والله عزيز حكيم .

ملامح المنهج الإسلامى
للدراسات التاريخية والحضارية (بما فى ذلك الأثرية)

لكى يعود إلى الدراسات التاريخية والحضارية أصالتها الإسلامية ، لابد وأن تلتزم بالمنهج الإسلامى الذى يمكن استنباط خطوطه العريضة من كتاب الله وسنة الرسول محمد ﷺ .

هذا المنهج يحدد بوضوح :

الأهداف التى يجب أن تتحقق من وراء الدراسات التاريخية والحضارية والوسائل الواجب اتباعها لتحقيق هذه الأهداف ويدخل ضمنها :

أولا : الجوانب التي يجب أن تعالج فى تاريخ الأمم وحضارتها .

ثانيا : طبيعة النص أو الوثيقة التاريخية (ويدخل فى ذلك المصدر والمرجع) ، التى يعتمد عليها فى كتابة تاريخ الأمم وحضارتها وهذا يحتاج أساسا لعلوم الجرح والتعديل ، والفقه وأصول الفقه .. إلى غير ذلك من العلوم الشرعية التى تعين على تحقيق هذا الجانب .

ثالثا : الأسلوب الواجب اتباعه لمعالجة المادة العلمية بما فى ذلك تحليل الأحداث واستخلاص النتائج تحقيقا للهدف المرسوم .

رابعا : الشخص المناط به إعداد الدراسات التاريخية والحضارية وتعليمها وتربية النشىء عليها وتقديم النصح من خلالها .

خامسا : المعيار الذى يجب أن يستخدم فى تقويم تاريخ الأمم وحضارتها .

وسنفرد للمنهج رسالة خاصة بإذن الله .

تقديم بين يدى الرسالة

التاريخ يشكل جزءا مما يسمى فى عصرنا الحاضر بالعلوم الإنسانية ، وما تسمى بالعلوم الإنسانية – فى عصرنا الحاضر – موضوع بحثها ودراستها الإنسان ، ولذلك فقد كان من المفروض أن تكون محكومة منهجا وموضوعا ومفهوما بالنظام الإسلامى الذى ارتضاه الله سبحانه وتعالى لبنى الإنسان (آدم عليه السلام) لأن خالق الإنسان هو الله سبحانه وتعالى ، وهو أعلم بمن خلق ﴿ ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير ﴾ كما أن الذى خلق هو الذى يأمر ﴿ ألا له الخلق والأمر ﴾ .

ولكن بدلا من أن تكون العلوم التى موضوع بحثها الإنسان ، كالتاريخ والجغرافيا وعلم النفس والاجتماع ، محكومة وموجهة بالمنهج الربانى الإسلامى ، نجد أنها محكومة فى مراجعها ومصادرها ومناهجها الحالية بمناهج وتوجيهات غير إسلامية ، بل وتعتمد على أصول جاهلية تحتوى على عداء ظاهر وخفى للاتجاه الدينى عموما وللاتجاه الإسلامى على وجه الخصوص ، كما أنها تحتوى على أغاليط وأكاذيب لا حد لها .

وقد جرى ذلك نتيجة للغزو الفكرى اللا إسلامى الذى حرص على تزييف وتشويه تاريخ الكون وتاريخ آدم وبنيه والتاريخ الإسلامى الذى يشمل : تاريخ الدين الإسلامى ، وتاريخ الأمة الإسلامية الواقع التطبيقى لهذا الدين .

والذين قاموا ويقومون على هذه الغزوة الفكرية اللا إسلامية ، هم أطراف الكيد الشيطانى والتآمر العالمى ، المستشرقون [1] الذين يدينون باليهودية

---

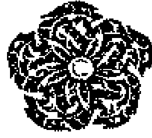
(١) يقول الدكتور مصطفى السباعى : إن « المستشرقين » – فى جمهورهم – لا يخلو أحدهم من أن يكون قسيسا أو استعماريا أو يهوديا ، وقد يشذ عن ذلك أفراد – إن الاستشراق بصورة عامة ينبعث من الكنيسة ، وفى الدول الاستعمارية يسير مع الكنيسة ووزارة الخارجية جنبا إلى جنب ، يلقى منها كل تأييد – إن الدول كبريطانيا وفرنسا ما تزال حريصةً على توجيه الاستشراق وجهته التقليدية من كونه أداة هدم الإسلام وتشويه لسمعة المسلمين (انظر السنة ومكانتها فى التشريع الإسلامى ، ص ١٦ ، ١٧) .

أو المسيحية أو غيرها ، يعاونهم حيش كبير من أبناء العرب والمسلمين .

هؤلاء المستشرقون جميعا يهدفون إلى ما حذر الله سبحانه وتعالى منه المسلمين منذ أربعة عشر قرناً من الزمان : ﴿ ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم ﴾ (١) ﴿ ولا يزالون يقاتلونكم حتى يردوكم عن دينكم إن استطاعوا ﴾ (٢) ﴿ ودوا لو تكفرون كما كفروا فتكونون سواء ﴾ (٣).

ولذلك فقد جاء كل الإنتاج الاستشراقى فى مجال تاريخ الكون وتاريخ بنى آدم على وجه العموم والتاريخ الإسلامى على وجه الخصوص موجها لتحقيق ذلك الهدف الذى حدده الكيد الشيطانى والتآمر العالمى ﴿ ود كثير من أهل الكتب لو يردونكم من بعد إيمانكم كفارا حسدا من عند أنفسهم ﴾ (٤) .

هؤلاء المستشرقون ومن سار على منهجهم ينطلقون من منطلقات فكرية معينة معادية للاتجاه الدينى عموما ، والاتجاه الإسلامى على وجه الخصوص فى دراسة وكتابة وتدريس تاريخ الكون وتاريخ بنى آدم على وجه العموم وتاريخ الأمة الإسلامية على وجه الخصوص .



---

(١) ﴿ قل إن هدى الله هو الهدى ولئن اتبعت أهواءهم بعد الذى جاءك من العلم مالك من الله من ولى ولا نصير ﴾ (البقرة : ١٢٠) .

(٢) البقرة : ٢١٧ .   (٣) النساء : ٨٩ .   (٤) البقرة : ١٠٩ .

الفصل الأول

المنطلق الأول : حيوانية الإنسان :

فمعظم الذين كتبوا ويكتبون تاريخ البشرية ينظرون إلى البشر الذين يؤدون دورا فى التاريخ على سطح الأرض على أنهم من نسل قردة (١) مذنبين . فبداية

---

(١) رالف لنتون (ترجمة أحمد فخرى) شجرة الحضارة ، ص ٢٧ وما بعدها . العجيب أن أحد المستشرقين ذهب إلى أبعد من ذلك فاعتبر الحيوان هو المثل ، أى النموذج السلوكى الذى نسج على منواله الإنسان .

فيقول المؤلف بالحرف الواحد : « لقد استطاع الإنسان أن يميز نفسه عن الحيوان بصفات عدة استمدها فى أول الأمر مما يحيط بالحيوان من انفعالات . فصراخ الحيوان ومناداة الذكر للأنثى ، تطورتا عند الإنسان وجعل منها لغة التخاطب ، كما أن غريزة التجمع عند الحيوان فى قطيع هى التى دفعت الإنسان إلى إنشاء الأسرة ، ومنها تكونت الدولة أما ذلك الدافع المُبْهم عند الحيوان للإبقاء على النسل فهو الذى أنمى العاطفة ودفع الإنسان إلى الزواج ، وكذلك كان الشعور الغريزى للخوف والفزع عند الحيوان بل كل ما هو مجهول سببا دفع الإنسان إلى احترام كل القوى التى تؤثر فى حياته دون أن يتعرف على كنهها ، ومن هذا الشعور بعينه نشأت الديانة التى لم تكن إلا الاعتقاد المسيطر على ذهن الإنسان من أن هناك قوى تحيط بالإنسان وتؤثر فيه ، (ديانة مصر القديمة ، ص ٤) وهكذا وصل المستشرق أدولف أرمان بالإنسان إلى مرتبة أدنى من مرتبة الحيوان ؛ وللأسف لم يقدم أحد المترجمين وهما من أبناء المسلمين تصحيحا لهذا التصور المنحرف عن الإنسان المخلوق المكرم بنفخة من روح الله .. وأدولف أرمان يردد فى كتابه أيضا أنه لا صلة للأخلاق بالدين – (نفس المصدر ، ص ١٧٧) وهذا المنطلق الفاسد هو من المفاهيم المستقرة فى مجال الدراسات التاريخية ، والدليل على ذلك ما أوردته به موسوعة تاريخ العالم ، (وليام ونجر) جـ ١ ، ص ٣ ، ٢٥ : (ينبغى أن يكون التاريخ فى أوسع معانيه سجلا للإنسان وأعماله منذ أن تحول من حيوان إلى إنسان) .

وللأسف أن المترجم د . مصطفى زيادة لم يعلق من قريب أو بعيد على فكرة تعارض العقيدة الإسلامية عن الإنسان . وما أوردته موسوعة : معالم تاريخ الإنسانية ، المجلد الأول ، ص ٦٢ تحت عنوان ؛ « القردة وأشباه الإنسان والإنسان » : (كان موضوع أصل الإنسان وعلاقته بالحيوانات الأخرى مثار جدل ونقاش شديد طيلة السنوات الأخيرة ، والرأى السائد بين العلماء أنه (أى الإنسان) انحدر من أسلاف أدنى منه .

الخَلْقُ الإنسانى عند هؤلاء ؛ هى الخلية الحية التى نشأت فى البرك والمستنقعات والتى تطورت عبر ملايين السنين مرورا بجد مشترك للقردةِ والإنسان ، ونهاية بالإنسان الحالى .

وبمعنى آخر أن تاريخ البشرية عند غير المسلمين لا يبدأ بآدم ، لأن آدم ... أسطورة ، خرافة ، ورب آدم — رب العالمين — لا وجود له ، أى أن الحكمة من خلق آدم وبنيه قد انتفت ، وأن التكليف الربانى لآدم وذريته قد انتفى ، أى أنه لا ضابط لحركة الإنسان فى التاريخ من دين أو خلق أو حلال أو حرام .

ولا عقل يجعله مسئولا عن تصرفاته وبالتالى فلا حساب ولا عقاب ، ولا خطأ ولا صواب ، إنما يجرى عليه ما يجرى على الحيوان ، فمثلا إذا عدت دولة على دولة أخرى فروعت أهلها ، وقتلت أطفالها ، وسبت نساءها وسلبت خيراتها ، ... واغتصبت أرضها ، فلا شىء عليها ، طالما تمسك بزمام القوة التى تمكنها من تحقيق أهدافها ، وطالما كان أفرادها من جنس معين (كما فعل اليهود بأرض فلسطين والروس بالممالك الإسلامية) .

إذن فآدم وبنوه فى ضوء هذه النظرة الحيوانية ، لم يخلقوا لغاية سوى غاية الحيوان التى تتمثل فى الحصول على الطعام والشراب ، والتزاوج والتناسل ؛ وبالتالى فإن الصراع بين بنى الإنسان ، هو صراع على احتياجات الحياة المادية ، وهو صراع مشروع حتى لو ديست فيه كل الأخلاقيات والمثل والمبادىء ، وهو صراع مشروع حتّى لو أدى الأمر أن يقتل الإنسان أخاه الإنسان .

= مرتبة شأنه فى ذلك شأن الثدييات ، وأنه والقردة الكبيرة ومنها ، الشامبانزى والأورانج أوتانج والغوريللا كان لها جميعا يوما جد مشترك وأن هذا الجد قد تطور من أشكال أدنى منه أيضا ، أى من نمط من أنماط الثدييات القديمة ، انحدر هو أيضا من زاحفة ذات هيئة حيوانية ، وهذه نفسها انحدرت أيضا من سلسلة البرمائيات ، وهذه بدورها من الأسماك البدائية . ولقد صيغ الإنسان فصار إلى هذه الحالة التى تراه عليها اليوم من القوى والمواهب والآمال خلال ملايين وملايين من أفراده مرت فى الحياة تباعا) . (انظر أيضا . موجز تاريخ الإنسانية ، ص ١٢ ، ١٣ ، ١٥ — ١٨ ، ١٩ ، ٢٥ ، ٣١ ، ٣٥ ، ٤٥ ، ٤٦ وكذلك تاريخ العالم الذى أشرف على إعداده جوك هامرتن ، ص ٤٣ ، ٤٦ ، ٤٩ ، ١٦٣ ؛ د. محمد السيد غلاب ، ويسرى الجوهرى ، الجغرافيا التاريخية عصر ما قبل التاريخ وفجره ، ص ١٩٧ « الإنسان القرد ») .

وكاتب التاريخ الذى يسيطر على تفكيره هذا التصور لا يرى ، فيما جرى بين آدم والشيطان ، أو بين الشيطان وذرية آدم ، صراعا بين حق وباطل ، ولا يرى فيما جرى بين ابنى آدم نزاعا بين خير وشر ، ولا يرى فيما يجرى من انحراف الناس عن نظام الله وشرعه ، إلى نظام الجاهلية وقانونها ، ما يستوجب التنبيه أو المؤاخذة لأن نظام الجاهلية والحيوانية وقانونها هى أسس الحياة المتحضرة فى نظره . وكاتب التاريخ الذى يوجه تفكيره هذا التصور لا يرى فى محاولة قتل رسل الله وأنبيائه والدعاة إلى دين الله عز وجل ، والوقوف فى وجه دعوتهم إلى الإسلام بشتى الوسائل ، بل وامتداد الألسنة والأيدى بالسوء إليهم ، جريمة شيطانية تستلزم المؤاخذة والوقوف فى وجه من حاولها أو يحاولها ، لأنه لا حرمة للحيوانات فى عالم الغاب ، والوجود للأقوى .

وكاتب التاريخ الذى يوجه تفكيره هذا التصور لا يرى مثلا : فى اغتيال عمر بن الخطاب رضى الله عنه على يدى أبى لؤلؤة المجوسى ، وعثمان بن عفان رضى الله عنه على أيدى اليهود السبئيين جريمة يجب محاسبة مقترفيها ، وكاتب التاريخ الذى يوجه تفكيره هذا التصور لا يرى فى خروج المسلمين لنشر دين الله فى الأرض هدفا لمصلحة بنى آدم إنما يجرى لتحقيق مصالح الحيوان المادية والتسلطية (١) ؛ وكاتب التاريخ الذى يوجه تفكيره هذا التصور لا يرى فى هجمات التتار والمغول على بلاد المسلمين فى القرن السابع الهجرى ، وإراقة دمائهم ، والاعتداء على أعراضهم ونهب ثرواتهم ، جرائم وحشية تستلزم الوقوف فى وجهها ، على اعتبار أنها هجمات حيوان على حيوان .

وكاتب التاريخ الذى يتصور أنه يكتب تاريخ مجموعة من الحيوانات . بل أدنى من الحيوانات ، لا يرى فى الحروب الصليبية ضد الأندلس والتى استهدفت العودة ببنى البشر من نور التوحيد إلى ظلمات الشرك ، أو استئصال شأفتهم ، عملا إجراميا يستلزم من كل قوى الخير الوقوف فى وجهها ، لأنها حروب بين مجموعة من الحيوانات يجب أن تحسم لمصلحة الأقوى ، رغم أن خسارة العالم

---

(١) قصة الحضارة ، جـ ٢ ، م ٤ « عصر الإيمان » ط ٢ ، القاهرة ١٩٦٤ ، ص ٣٤ .

الإنسانى ولا أقول العالم الإسلامى فحسب كانت كبيرة بسقوط الأندلس تحت هجمات الصليبيين .

فى ظل هذا التصور اللا إسلامى ، تصبح ما تسمى بالثورة الفرنسية والثورة البلشفية وغيرها من الثورات ، وما أقامته من مجازر لبنى الإنسان ، بل لبنى الوطن الواحد ، عملا رائدا ، لأن الصراع الطبقى اللا إنسانى صراع حتمى ، وهو نموذج يحتذى لمن أراد أن يصل إلى تحقيق الشعارات اليهودية : الحرية الإخاء والمساواة .

وكاتب التاريخ الذى يوجهه هذا التصور ، يرى فى تآمر العالم الغربى الاستعمارى اليهودى والصليبى لإسقاط خلافة آل عثمان ، وتفتيت وحدة العالم الإسلامى واغتصابه واستغلال خيراته ، عملا محمودا لأن العالم المتمدن كما يزعمون أصبح هو المتحكم بحيوانيته وجبروته فى العالم الإنسانى أو العالم الحيوانى !. بل ويرى فى هذا العمل ما لا يستوجب المؤاخذة أو حتى مجرد إدانته على الورق لأنه لا عتاب ولا لوم لما يجرى بين حيوان وحيوان ، والبقاء للأقوى حتى لو كان ماكرا مخادعا كاذبا ، ظالما ، لا يرعى حرمة لا مرأة أو طفلا أو عجوزا .

وكاتب التاريخ الذى يسيطر على تفكيره هذا التصور لا يرى فى تآمر العالم الاستعمارى اليهودى الصليبى لاغتصاب أرض فلسطين ، مع تشريد أهلها ، .... والاستيلاء على أرضها وهتك أعراض نسائها بل وذبح أطفالها وشيوخها ، .... باستخدام جميع أسلحة الفتك والدمار ، من نابالم وميكروبات ، ما يستنهض صرخة احتجاج واحدة من العالم المعاصر المسمى زوراً وبهتانا بالعالم المتحضر .

فى أعقاب مذبحة كفر قاسم (٢٨ أكتوبر ١٩٥٦) ، جرت محاكمة صورية للإسرائيليين المسئولين عن تنفيذ هذه المذابح وبعد الحكم وجه الصحفيون أسئلة إلى الضابط اليهودى مالنكى : هل أنت نادم على ما فعلت ؟ قال : بالعكس لأن الموت لكل عربى فى إسرائيل معناه الحياة لأى إسرائيلى ، والموت لأى عربى خارج إسرائيل معناه الحياة لإسرائيل كلها — ماذا كان شعورك بعد الحكم

عليك ؟ قال : كنت مطمئنا للمعاملة التى سأعامل بها لأن العمل الذى قمت به واجب وطنى ودينى .

وسئل الملازم « غبريال دهان » :

– كم عربيا اصطدت فى المجزرة ؟ قال : ١٣ فقط . ماذا كان شعورك أثناء المجزرة ؟ قال : كنت متعطشا للدم العربى وقد شربت حتى سكرت .

هل فى نيتك معاودة الشراب ؟ قال : إذا سمحت الظروف (١) .

وها هو الحاخام مائير كاهان يهودى من أصل أمريكى يصرح لجريدة يديعوت أحرنوت الإسرائيلية(٢) .

« علينا أن نضع قانونا جديدا لطرد العرب من هنا ، من هذه البلاد اليهودية ، لابد من إخراج العرب باستخدام العنف والإرهاب ضدهم ؟ ألا تذكر ما فعله مناحيم بيجين وإسحاق شامير حين استخدما الإرهاب ضدهم ؟ ألم تقرأ عما جرى فى دير ياسين ؟ حسنا سيكون لهم دير ياسين جديدة فى كل مكان يتواجدون » . وحينما سئل كاهان : « ألن يكون بوسعنا أن نعيش معهم فى دولة واحدة بسلام ؟ – أجاب : هذه الأرض لا تتسع لشعبين ، لابد أن يذهب شعب ويبقى آخر والباق هو القوى ونحن الأقوياء وسنبقى ونحن الذين نقرر . ماذا يجب أن يكون وكيف أنا أعتقد بأنه يجب الانتقام منهم (أى العرب) جميعا حتى وإن لم يعتدوا علينا يجب الانتقام منهم ومعاقبتهم فى عقر دارهم .. العرب لا يستحقون سوى هذا ، عن أى قانون تتحدث هل هناك قانون يمنعنا من تحقيرهم وإهانتهم ومعاقبتهم » .

وكاتب التاريخ الذى يسيطر على تفكيره هذا التصور لا يرى فى الصراع الذى يجرى على سطح الأرض ، صراعا بين حق وباطل ، ولا يرى ظالما أو مظلوما ، كما أنه لا يرى فى الانحراف عن السلوك السوى ممثلا فى القتل بغير

---

(١) جهاد شعب فلسطين ، ص ٤٤٧ . (٢) ٢٥ كانون ١٩٨٣ ونشر فى جريدة الجزيرة فى عددها ٣٨١٨ فى ١٤٠٣/٥/١٩ هـ ، ونشر فى جريدة أخبار العالم الإسلامى العدد ٨١٨ فى ٢٩ جمادى الأولى ١٤٠٣ هـ .

حق ، وشرب الخمر ، وهتك الأعراض [1] وإتيان المحارم ما يستوجب اللوم و التقريع لأن ... الحيوان لا يؤاخذ على ذلك إن فعله .

وإذا أردنا مثلا آخر معاصرا يبين لنا معالجة تاريخية من خلال ذلك المنطلق لكتاب تاريخ عصرنا الحديث ، فإن اعتداء الروس على أفغانستان لسلخها من إسلامها عمل لا شيء فيه ، ومن هذا المنطلق ابتلعت روسيا الشيوعية الممالك الإسلامية [2] التي تشكل تسعة أعشار مساحتها الحالية دون أن يكون هنالك رادع من خلق أو دين . فى ظل هذا التصور يصبح عربدة ما تسمى بالدول الكبرى فى البحار والمحيطات بهدف حماية مصالحها شيئا طبيعيا وإن هددت أمن غيرها من البلاد . فى ظل هذا المنطلق يصبح استبداد الحاكم بأمته والزج بالمعارضة فى السجون والمعتقلات أو قتلها أو نفيها ، لا مؤاخذة عليه ، طالما أن ذلك يحقق الأمن والطمأنينة له حتى لو كان مخطئا فى حق ربه ودينه وأمته . فإذا بطش ببنى وطنه أو قتل . فهذا حقه لتأمين كرسيه وهى من صميم أمور البلد الداخلية ، ولأنه قد ملك الرقاب والبلاد .

فى ظل هذا المنطلق يصح إزالة مدينة كمدينة حماة من الوجود بعد قتل رجالها وهتك أعراض نسائها والتنكيل بشيوخها ، لا يستنهض صرخة احتجاج واحدة من المجتمع الدولى الذى يعيش فى عصر الغاب .

وعلى العكس من ذلك ، إذا نظرنا إلى الإنسان وأردنا معالجة تاريخية من خلال المنطلق الإسلامى ، نجد أن آدم – كما روى لنا الله عز وجل هو أبوالبشر جميعا وهو خلق من خلق الله عز وجل ، وآدم – عليه السلام – إنسان مكرم بنفخة من روح الله ، وأنه لعظم شأنه فإن الله سبحانه وتعالى بنفسه قد أعلن مولده ولعظم شأنه فإن الله سبحانه وتعالى قد أمر الملائكة بالسجود له ، وأن هذا

---

(١) نرى نموذجا لهذه الكتابات لدى ول . ديورانت فى كتابه قصة الحضارة ، .. مجلد ٣ ، جـ ٢ ، ص ٢٩ . يرى « الاتصال بالعاهرات » واتخاذ السرارى والعشيقات ومنع الحمل وإجهاض الزوجات ، وقتل الأطفال ، من مستلزمات الحضارة وأن إصلاح الأخلاق هى وظيفة المنافقين والقديسين (ص ٢٧) ، وأن حكم الفرد أفضل أنواع الحكومات كلها (ص ١١)

(٢) الإسلام فى وجه الزحف الأحمر .

الإنسان قد خلق لغاية وهى العبادة : ﴿ وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون ﴾ (١) ولهذا فإن الله قد استخلفه فى الأرض وزوده بمقومات الخلافة والمعرفة ، ﴿ قلنا اهبطوا منها جميعا فإما يأتينكم منى هدى فمن تبع هداى فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون ، والذى كفروا وكذبوا بآياتنا أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون ﴾ (٢) إن هذا الإنسان البشر متميز عن غيره من الخَلْق بالعقل فهو مكلف ويدرك أنه فى مرحلة اختبار : ﴿ الذى خلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملا ﴾ (٣) وبالتالى فهو حريص على أن ينجح فى هذا الاختبار ، وخاصة أن الله قد أرسل له الرسل مبشرين ومنذرين ومبينين . إذن فهنالك ضابط العقل والدين ، وهناك الخلق الذى يقوم على قاعدة التوحيد ، وهنالك الحلال والحرام ، والخطأ والصواب ، .. وبالتالى الحساب والعقاب لأنه إنسان مكلف ومسئول .

فمثلا فى ضوء هذا التصور إذا عدت دولة على دولة أخرى فروعت أهلها وقتلت أطفالها ... الخ فهى دولة معتدية ، طاغية ظالمة لنفسها وغيرها ، لا حق لها فى ذلك ، وعلى قوى الحق أن ترد الظلم عن المُعْتَدى عليه وترد الظالم عن ظلمه ، وهنا يأتى واجب المؤرخ المسلم فى أن يندد بالظلم والظالمين حتى يرتفع الظلم الواقع على الناس . وكاتب التاريخ الذى ينطلق من هذا المنطلق الإسلامى ويعالج مثل هذه القضية يرى أن الصراع الذى يجرى على الأرض هو صراع بين الحق والباطل وأن هنالك ظالم لابد أن يُردّ عن ظلمه ومظلوم لابد أن يَستردّ حقّه .

وفى ضوء هذا التصور الإسلامى فإن القتل ، وشرب الخمر وهتك الأعراض وإتيان المحارم ، واتخاذ السرارى والعشيقات هو انحراف عن جادة الصواب ، وسمة من سمات الجاهلية التى يجب أن تُقوم .

وإذا أردنا مثلا آخر معاصرا للنظرة الإسلامية للتاريخ للأحداث فى ضوء

---

(١) الذاريات : ٥٦ .　　(٢) البقرة : ٣٨ – ٣٩ .
(٣) الملك : ٢ .

ما يجرى فى عالمنا المعاصر فإن اعتداء الروس والعالم الشيوعى على أفغانستان لسلخها عن دينها الإسلامى وتحويلها إلى دولة كافرة يصبح جريمة . وعلى المسلمين أن يتكاتفوا ويعلنوا الجهاد على الأعداء لدفع ذلك الاعتداء وردعه (١) من خلال ذلك المنطلق الإسلامى يصبح احتلال الروس للممالك الإسلامية طغيان وإفساد فى الأرض بغير حق ومن واجب المسلمين أن يجاهدوا لردع هذا الطغيان وتحرير المسلمين من قبضته حتى تكون الكلمة العليا لله . وفى ظل هذا التصور الإسلامى ، يصبح تشريد شعب كشعْب فلسطين (٢) المسلم وذبح أبنائه واحتلال مقدساته ، ومقدسات المسلمين ، ومحاولة استئصال شأفته ، طغيان واعتداء يجب على المجتمع الدولى عموما وعلى الأمة المسلمة على وجه الخصوص أن يردعه ويقف فى وجهه وأن تعاد المقدسات والحقوق إلى أصحابها حتى يستقر السلام فى ظل لا إله إلا الله .

فى ظل هذا المنطلق الإسلامى يصبح عربدة ما تسمى بالدول الكبرى ، أمريكا وروسيا وأوربا فى البحار والميحطات بهدف حماية مصالحها ، طغيان يجب أن .. يُردع ويعاقب القائمون به ، ويخضعون للمجتمع المسلم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين لله (٣) .

---

(١) ومثال ذلك أيضا أن ما يجرى فى الفلبين من اعتداء النظام النصرانى الحاكم على القلة المسلمة لقهرها وسلخها عن دينها ، يعتبر فى ضوء التصور الإسلامى للتاريخ جريمة يجب أن يعمل المسلمون على وقفها وتأديب القائمين عليها حتى يأمن المسلمون على دينهم وأعراضهم وأموالهم ، وما جرى ويجرى فى الحبشة والصومال وأرتريا خير شاهد على ما نقول . وليست هذه أول مرة يحاول فيها الإغارة على أرض الإسلام واغتصابها ، بل حدث ذلك قبل ذلك ، واغتصبت روسيا حوالى ثلاثة عشر مليونا من الكيلومترات المربعة من بلاد المسلمين ، بعد أن قتلت وذبحت (انظر الإسلام فى وجه الزحف الأحمر ، ص ١١٥ — ١٢٠) .

(٢) صالح مسعود أبو بصير ، جهاد شعب فلسطين فى نصف قرن .

(٣) وإذا ضربنا أمثالا من أحداث التاريخ السابق فى ظل هذا المنطلق الإسلامى ، يصبح غزو التتار والمغول لبلاد المسلمين وذبح رجالهم وسبى نسائهم وأطفالهم . مع هدم حضارتهم ، جريمة لا يمكن تبريرها وكان لابد من الوقوف فى وجهها وكسر شوكتها وهذا ما فعله قطز وبيبرس فى عين جالوت .... (البداية والنهاية ، جـ ١٣ ، ص ٢٠٠ وما بعدها) فى ظل هذا المنطلق تصبح الحملات الصليبية على بلاد المسلمين وما ارتكبته من قتل وتدمير وإفساد فى الأرض بغير حق ، جرما يستحق من القادرين دفعه ، وهذا هو الذى قام به صلاح الدين الأيوبى ، حينما قاد المسلمين جهادا فى سبيل الله لدفع هذا الطغيان والقضاء على طغاته =

في ظل هذا المنطلق الإسلامي يصبح استبداد الحاكم بأمته ، والحيلولة بينها وبين إقامة شريعة الله في حياتها والتنكيل بأبنائها المعارضين سواء بالقتل أو السجن أو النفي أو تقييد الحريات ، جريمة تستلزم وقوف الآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر بعزله واختيار غيره إذ لم يرتدع ويثوب إلى رشده حتى يأمن المسلمون على دينهم وأوطانهم ، على أن يوضع في الاعتبار أن هنالك ضوابط للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر[1] .

في ظل هذا التصور الإسلامي يصبح الوقوف في وجه الناس لاختيار الدين الصحيح وهو الإسلام جريمة ويجب على المسلمين أن يسعوا إلى إزالة العقبات التي تحول بين الناس وبين اختيار الدين الصحيح (٢) .

في ظل هذا التصور يصبح الحيلولة بين المسلمين وبين إقامة دينهم في حياتهم جريمة يجب أن يسعى المسلمون ويتكاتفوا لإزالة أسبابها (٣).

=وتحرير المقدسات الإسلامية ، وإقامة حكم الله في أرض الله .

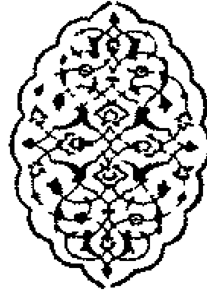
في ظل هذا المنطلق يصبح تكاتف الدول الأوربية والأمريكية والروسية للقضاء على دولة الخلافة العثمانية جريمة ترتكب في حق الإسلام وأهله ، وكان من واجب المسلمين الوقوف في وجه المتآمرين وكسر شوكتهم . وحيث أن المخطط التآمري قد حقق أهدافه فقد أصبح من واجب المسلمين الآن العمل على إعادة هذه الخلافة ، ... وكسر شوكة الطغاة الذين سعوا في ذلك . (الدولة العثمانية دولة مفترى عليها جـ ١ ، ٢) .

(١) وما أكثر استبداد الحكام - إلا من رحم ربي بأبناء أمتهم ، ففي ظل هذا التصور يصبح قتل علماء المسلمين في الصومال جريمة (عام ١٣٩٥ هـ) ومذابح حماة وإزالتها من الوجود جريمة ، ومذابح سجن تدمر جريمة وسجن وتعذيب وقتل الدعاة الذين ينادون بإقامة حكم الله جريمة وطغيان ، تستلزم تضافر جهود المسلمين في كل مكان لإزالة الطغيان والإجرام ، حتى يقوم حكم الله في الأرض .

(٢) وهذا هو الذي دفع المسلمين الأوائل إلى الخروج جهادا في سبيل الله لإزاحة طواغيت الجزيرة العربية ، وأكاسرة الفرس وقياصرة الروم ، لإخراج العباد من عبادة العباد إلى عبادة الله الواحد القهار ، وهو واجب المسلمين في كل زمان حتى يختار الناس الدين الصحيح بملء إرادتهم الحرة .

(٣) وهو ما يزال يتكرر ويزداد في كثير من بلاد العالم المعاصر ، وهو ما حدث في مكة حينما طلب المشركون من أبي بكر أن لا يقرأ القرآن حتى لا يفتن أبناءهم ونساءهم وهذا هو الذي دفع الرسول ﷺ إلى الهجرة وصحبه فرارا بدينهم بعد أن تآمروا على قتله ، استعدادا لمرحلة أخرى من مراحل الدعوة لإزالة سلطان الطواغيت وإقامة حكم الله .

فى ظل هذا المنطلق الإسلامى يصبح محاولة تنصير المسلمين وردهم عن دينهم جريمة (١) ، يجب على القادرين من المسلمين أن يتكاتفوا ويتوحدوا وينطلقوا لردع ذلك العدوان على المسلمين ودينهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين لله .



(١) كما هو حادث فى كثير من بلاد العالم فقد وضعت خطط لتنصير العالم الإسلامى ، مثل أندونيسيا ؛ وهو الذى حدث بعد وفاة الرسول حينما ارتد كثير من المسلمين ، ولذلك فقد خرج أبو بكر وصحبه على رأس المجاهدين لإعادة .... المرتدين إلى عقيدة الإسلام أو قتالهم . ويثبت ذلك ما يقع فى هذه الأيام (١٤٠٣ هـ) من قتل آلاف المسلمين حرقا بالنار بعد تقطيع أوصالهم فى آسام بالهند ، والفلبين لأنهم رفضوا أن يرتدوا عن دينهم ويعتنقوا العقائد الفاسدة .

الفصل الثانى
الجزء الأول

المنطلق الثانى : هدم الإسلام :

يحرص معظم الذين يكتبون فى التاريخ – منذ زمن بعيد على هدم الدين الإسلامى والتشكيك فى كونه عقيدة ونظام حياة شامل ، اقتصادى وسياسى وثقافى وتعليمى وجهادى صالح لكل زمان ومكان ، وبالتالى زعزعة ثقة بنى البشر فى رب الكون وملائكته وكتبه ورسله مع تشويه تاريخ الأمة المسلمة – الواقع التطبيقى لذلك الدين – وتزييفه وتفتيته وبعثرته حتى لا تهتدى الأمة المسلمة إلى ذاتها وغايتها . أى الانطلاق من العداء للاتجاه الدينى عامة والاتجاه الإسلامى على وجه الخصوص وتحقيقا لهذا المنطلق ، فإن المستشرقين ومن سار على نهجهم من أبناء العرب والمسلمين قد تواصوا بوسائل فكرية معينة لتحقيق ذلك المنطلق ، هذه الوسائل تتمثل فى :

(أ) التجاهل والتجهيل بالبداية الحقيقية للدين الإسلامى ، وبالبداية الحقيقية لتاريخ الأمة ، الواقع التطبيقى للإسلام الذى تحقق على سطح الأرض ، وذلك يعنى فى تصور أعداء الله – أن الإسلام كدين لا وجود له قبل رسالة محمد ﷺ ، وهذا يعنى أيضا طبقا لتصورهم المنحرف أن آدم لم يكن مسلما وكذلك نوح وصالح ولوط .. الخ الأنبياء والمرسلين صلوات الله وسلامه عليهم جميعا .

وهذا يعنى أيضا طبقا لتصورهم ، أنه لم يكن هنالك وجود لقوم نوح المسلمين ولا لقوم هود ، ولا لقوم موسى ، ولا لقوم إسماعيل عليهم السلام ، قبل أمة محمد ﷺ .وبذلك يعزلون تاريخ الأمة المسلمة بعد بعثة محمد ﷺ عن بقية تاريخ الأمة المسلمة التى سبقت رسالة محمد ﷺ والتى تضرب بجذورها إلى عهد آدم عليه السلام ﴿ إن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدون ﴾ . وقد

ترتب على تبنى هذا المنطلق من قبل كتاب التاريخ، فصل هذا الجزء الكبير والأساسى من تاريخ الإسلام كدين، وتاريخ الأمة المسلمة منذ أقدم الدهور بداية بآدم عليه السلام وحتى قبيل بعثة محمد ﷺ وأطلقوا عليه اسم التاريخ القديم تاريخ مصر القديمة، العراق القديم، الشرق القديم، بلاد الشام القديم؛ وحولوه إلى تاريخ وثنى جاهلى: «مصر الفرعونية» «العرب فى الجاهلية» «عرب قبل الإسلام»، بل وأطلقوا على هذه الفترة «عصور ما قبل التاريخ» «والعصور الحجرية» التى أثناءها لم يكن الإنسان الحيوان يعرف له ربا ولا ديناً، فنشأت لديه عاطفة التدين من مشاهدة الحيوانات التى تخاف من القوى الخفية وتخاف البرق والرعد فاتخذ لنفسه آلهة على قدر نضوجه الفكرى (١) وقد تطور فى وثنية حتى وصل إلى التوحيد من تلقاء نفسه أى أن الدين من اختراع العقل البشرى.

وترتب على تبنى ذلك المنطلق معالجة تواريخ الأمم التى سبقت بعثة محمد ﷺ بما فى ذلك تاريخ أوربا على أنه تاريخ وثنى جاهلى محضَ (٢) لا أثر فيه لوجود الله ولا لدين هو الإسلام طلب الله من البشرية أن تعتنقه، ولا لنظام ولا لشرع ربانى طلب الله من بنى آدم أن يخضعوا حياتهم له. ولا وجود لرسل أرسلوا من قبل الله عز وجل، يطلبون من الناس عبادة الله وحده بدون شريك، أى انتفاء التكليف الربانى لبنى البشر.

والنموذج لذلك، يتضح لنا، من كيفية معالجة المستشرقين لتاريخ مصر والعراق وبلاد الشام والجزيرة العربية منذ أقدم الدهور والتى أسقطت تماما أى دعوة إلى الإسلام حملها رسل الله فى حياة الأمم التى سكنت تلك البلاد وبهذا أصبحت جميع الأمم بلا استثناء تنظر إلى هذه الفترة من تاريخها على أنها خلقت وتركت هملا، فلم تكن تعرف لها ربا ولا ترتضى لنفسها دينا.

ولتأكيد هذا الزعم حرص علماء الآثار من المستشرقين على طمس

---

(١) حضارة مصر الفرعونية، الشرق الأدنى القديم، مصر والعراق، حضارة مصر والشرق القديم، موسوعة العقاد الإسلامية.

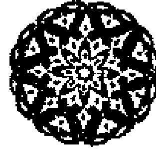
(٢) تمتد هذه الفترة أحيانا فى تاريخ الأمم إلى بضعة آلاف سنة تقريبا؛ تاريخ الحضارة الهللينية.

أى قرينة أثرية أو ملامح تاريخية تؤكد أن الله سبحانه وتعالى فطر البشرية على الإسلام . وارتضاه لها دينا وبه بعث الرسل . وعندما تظهر قرينة رغما عنهم تؤكد أصالة خط توحيد الله فى حياة البشرية راحوا يعزونها إلى تطور الفكر البشرى ، فهم يزعمون أن الإنسان قد تطور فى معتقده كما تطور فى صناعته (١) .

وأصحاب منطلق التجاهل والتجهيل بالإسلام لا يستندون إلى دليل سوى الجهل ، والجهل لا يصلح أن يكون دليلا .

بيان فساد تصورات أصحاب هذا المنطلق :

ولبيان فساد تصورات أصحاب هذا المنطلق الثانى وما بنى عليها من دراسات تاريخية فاسدة يستلزم منا كشف النقاب عن بداية تاريخ الدين الإسلامى وبداية تاريخ الأمة الإسلامية الواقع التطبيقى لهذا الدين .



(١) مصر والحضارة المصرية فى العصور القديمة ؛ ديانة مصر القديمة ، تاريخ الشرق الأدنى القديم ، فجر الضمير ؛ تطور الفكر والدين فى مصر القديمة ، الديانة العربية القديمة ؛ العرب قبل الإسلام ؛ تاريخ العالم ج ١ ؛ الحضارات السامية القديمة ؛ الجغرافيا التاريخية ؛ معالم تاريخ الإنسانية ، جـ ١ ، موسوعة تاريخ العالم وجميع المصادر الأجنبية المدرجة آخر الرسالة .

الجزء الثانى

أولا : البداية الحقيقية لتاريخ الدين الإسلامى :

تؤكد النصوص القرآنية والأحاديث النبوية أن الإسلام قديم ، أسلم الكون حيث لا إنسانٰ ، الإسلام قبل الإنسان ، يولد الإنسان فيجد الإسلام ملء الكون ، خلفه وأمامه .

وقد أفرد الدكتور عبد الرحمن بارود فى مقدمة مذكرة له عن الكون المؤمن المسلم ، فصلا جمع فيه من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية ، ما يؤكد هذه الحقيقة ، على النحو التالى :

الكون المؤمن :

خلق الله عز وجل – بقدرته التى لا تحد ، كافة الخلائق ، فضلا منه وكرما . ﴿ الله خالق كل شيء ﴾

والاعتقاد بوجود الخالق المبدع من وراء الكون البديع ، ملازم للفطرة من قديم . وتقطع به العقول . ولا يجحده إلا مكابر سقيم .

وإذا تجاوزنا الجن والإنس فالكون كله مؤمن موحد مسلم لله محب طائع منقاد . كل شيء يعرف ربه الذى خلقه وصوره ، ويعبده . هذه حقيقة كونية كبرى لها أهميتها الجديرة بها فى العقيدة الإسلامية . ليس فى الكون إلا الإسلام ، ولا يقبل من شيء شيء غير الإسلام . رب واحد عظيم تعبده الكائنات . إليه تتوجه، ومنه تتلقى وله تخضع . تتنوع فى صورها وأشكالها وألوانها وخصائصها ووظائفها ومنازلها وقوانينها كما أراد لها بالضبط ، ولكنها جميعا تسبحه وتعظمه وتلهج بالثناء عليه .

صرح بذلك القرآن الكريم والسنة المطهرة فى مواطن كثيرة .

الكون المؤمن فى القرآن الكريم :

قال – عز من قائل : ﴿ تسبح له السموات السبع ، والأرض ، ومن فيهن ، وإن من شيء إلا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم ، إنه كان حليما غفورا ﴾ (١) – ﴿ سبح لله ما فى السموات وما فى الأرض ، وهو العزيز الحكيم ﴾ (٢) – ﴿ سبح لله ما فى السموات والأرض وهو العزيز الحكيم ﴾ (٣) – ﴿ يسبح لله ما فى السموات وما فى الأرض الملك القدوس العزيز الحكيم ﴾ (٤) .

﴿ ألم تر أن الله يسبح له من فى السموات والأرض ، والطير صافات كل قد علم صلاته وتسبيحه، والله عليم بما يفعلون ﴾ (٥)

﴿ ويسبح الرعد بحمده ، والملائكة من خيفته ﴾ (٦) – ﴿ والنجم والشجر يسجدان ﴾ (٧)

﴿ وإنّ من الحجارة لما يتفجر منه الأنهار ، وإن منها لما يشقّق فيخرج منه الماء ، وإن منها لَمَا يَهْبِطُ من خشية الله ، وما الله بغافل عما يعملون ﴾ (٨)

﴿ إنا عرضنا الأمانة على السموات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها ، وحملها الإنسان إنه كان ظلوما جهولا ﴾ (٩).

﴿ ألم تر أن الله يسجد له من فى السموات ومن فى الأرض والشمس والقمر والنجوم والجبال والشجر والدواب ، وكثير من الناس وكثير حق عليه العذاب ، ومن يهن الله فما له من مكرم إن الله يفعل ما يشاء ﴾ (١٠).

---

(١) الإسراء : ٤٤ . (٢) الصف : ١ . (٣) الحديد : ١ . (٤) الجمعة : ١ .

(٥) النور : ٤١ .

(٦) الرعد : ١٣ .

(٧) الرحمن : ٦ .

(٨) البقرة : ٧٤ .

(٩) الاحزاب : ٧٢.

(١٠) الحج : ١٨ .

﴿ أو لم يروا إلى ما خلق الله من شيء يَتَفَيَّؤا ظلاله عن اليمين والشمائل سجدا لله وهم داخرون ؟ ولله يسجد ما فى السموات وما فى الأرض من دابة والملائكة ، وهم لا يستكبرون ﴾ (١) .

﴿ ولله يسجد من فى السماوات والأرض طوعا وكرها ، وظلالهم بالغدو والآصال ﴾ .

﴿ وما من دابة فى الأرض ولا طائر يطير بجناحيه إلا أمم أمثالكم ، ما فرطنا فى الكتاب من شيء ثم إلى ربهم يحشرون ﴾ (٢) .

﴿ وورث سليمان داود وقال : يا أيها الناس علمنا منطق الطير وأوتينا من كل شيء إن هذا لهو الفضل المبين ﴾ (٣) .

﴿ حتى إذا أتوا على واد النمل قالت نملة : يا أيها النمل ادخلوا مساكنكم لايحطمنكم سليمان وجنوده ، وهم لا يشعرون . فتبسم ضاحكا من قولها وقال رب أوزعنى أن أشكر نعمتك التى أنعمت على وعلى والدى وأن أعمل صالحا ترضاه وأدخلنى برحمتك فى عبادك الصالحين ﴾ (٤) .

﴿ وتفقد الطير فقال : ما لى لا أرى الهدهد أم كان من الغائبين ؟ لأعذبنه عذابا شديدا أو لأذبحنه أو ليأتينى بسلطان مبين . فمكث غير بعيد فقال : أحطت بما لم تحط به وجئتك من سبأ بنبأ يقين . إنّى وجدت امرأة تملكهم وأوتيت من كل شيء ولها عرش عظيم . وجدتها وقومها يسجدون للشمس من دون الله وزين لهم الشيطان أعمالهم فصدهم عن السبيل فهم لا يهتدون ﴾ إلى آخر هذا البيان الرائع المدهش من ذلك الهدهد (٥) .

---

(١) النحل : ٤٨ ، ٤٩ .
(٢) الأنعام : ٣٨ .
(٣) النمل : ١٦ .
(٤) النمل : ١٨ – ١٩ .
(٥) النمل : ٢٠ – ٢٤ .

﴿ يوم نقول لجهنم : هل امتلأت ؟ وتقول : هل من مزيد ﴾ (١) .

﴿ ثم استوى إلى السماء وهي دخان فقال لها وللأرض : ائتيا طوعا أو كرها ؟ ، قالتا : أتينا طائعين . فقضاهن سبع سماوات فى يومين ﴾ (٢) ... إلى آخر الآية .

﴿ وقالوا : اتخذ الرحمن ولدا . لقد جئتم شيئا إدًّا . تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الأرض وتخر الجبال هدًّا . أن دعوا للرحمن ولدا ﴾ (٣) قال الحافظ ابن كثير هنا : (أى يكاد يكون ذلك عند سماعهن هذه المقالة من فجرة بنى آدم إعظاما للرب وإجلالا ، لأنهن مخلوقات ومؤسسات على توحيده ، وأنه لا إله إلا هو ، وأنه لا شريك له ولا نظير له ولا ولد له ولا صاحبة له ولا كفء له بل هو الأحد الصمد) ثم أورد قول (ابن عباس) فى هذه الآيات : « إن الشرك فزعت منه السماوات والأرض والجبال وجميع الخلائق إلا الثقلين ، وكادت أن .. تزول منه ، لعظمة الله » (٤) .

﴿ حتى إذا ما جاءوها شهد عليهم سمعهم وأبصارهم وجلودهم بما كانوا يعملون . وقالوا لجلودهم : لم شهدتم علينا ؟ قالوا : أنطقنا الله الذى أنطق كل شيء ﴾ (٥) .

الكون المؤمن فى الحديث الشريف :

وهذه مجموعة من الوثائق النبوية الشريفة :

قال ﷺ : « أحد جبل يحبنا ونحبه » – البخارى وابن ماجة والموطأ وأحمد بن حنبل (المعجم المفهرس ، جـ ١ ، ص ٣١٨) .

« إنى لأعرف حجرا بمكة كان يُسَلِّم عليَّ قبل أن أبعث ، إنِّى لأعرفه الآن » .

---

(١) ق : ٣٠ .
(٢) فصلت : ١١ ، ١٢ .
(٣) مريم : ٨٨ ، ٩١ .
(٤) تفسير القرآن العظيم ، جـ ٣ ، ص ١٣٨ .
(٥) فصلت : ٢٠ ، ٢١ .

مسلم والترمذى وأبو داود وأحمد بن حنبل (المعجم المفهرس ، جـ ١ ،ص ٤٢٦) .

وحنين الجذع الذى كان يقوم إليه الرسول ﷺ عند الخطابة معروف مشهور . فإن ذلك الجذع عندما نحّى عن مكانه حن حنينا حزينا مسموعا حتى جاءه الرسول ﷺ فسكّنه . وسجل الثقات ذلك الحادث ... بعبارات مختلفة : « فحن الجذع فأتاه ، فمسح يده عليه » . وفى رواية : « فصاحت النخلة صياح الصبى . ثم نزل النبى ﷺ فضمه (أى ضم الجذع) إليه يئن أنين الصبى الذى يسكن » وفى رواية : « فسمعنا لذلك الجذع صوتا كصوت العشار (أى النوق التى مضى على حملها عشرة أشهر) حتى جاء النبى ﷺ فوضع يده عليها (أى على قطعة النخل التى هى الجذع) فسكنت (وهذه الروايات فى صحيح البخارى والترمذى والنسائى وابن ماجه وأحمد بن حنبل (المعجم المفهرس جـ ١ ، ص ٥٢٠) .

« ودخل الرسول ﷺ حائطا (أى بستان نخل) لرجل من الأنصار فإذا فيه جمل ؛ فلما رأى النبى ﷺ حن وذرفت عيناه . فأتاه رسول الله ﷺ فمسح دفراه (ما خلف أذنيه) فسكت . فقال : من رب هذا الجمل ؟ لمن هذا الجمل ؟ فجاء فتى من الأنصار فقال : لى يا رسول الله فقال : أفلا تتقى الله فى هذه البهيمة التى ملكك الله إياها ؟ فإنه شكا إلىّ أنك تجيعه وتدئبه » أخرجه أبو داود وأحمد بن حنبل وإسناده صحيح (المعجم المفهرس ، جـ ١ ، ص ٥٢٠) .

وقال ﷺ : « إن نملة قرصت نبيا من الأنبياء فأمر بقرية النمل فأحرقت . فأوحى الله إليه : أفى أن قرصتك نملة أهلكت أمة من الأمم تسبح ؟ » .

مسلم وفى رواية : « أحرقت أمة من الأمم تسبح الله » البخارى والنسائى وأبو داود وابن ماجة وأحمد بن حنبل (المعجم المفهرس ، جـ ٢ ، ص ٣٩١) .

وقال : « إنه لا يسمع صوت المؤذن جن ولا إنس ولا شىء إلا شهد له

يوم القيامة « البخارى والموطأ والنسائى . وفى رواية لأبى داود : ويشهد له كل رطب ويابس » .

وفى رواية للنسائى : « ويصدقه من سمعه من رطب ويابس » . وهذا الحديث إسناده صحيح وهو أيضا فى مسند أحمد (المعجم المفهرس ، جـ ١ ، ص ٣٧٥) .

وقال ابن كثير فى تفسيره : « ثبت فى صحيح البخارى عن ابن مسعود أنه قال : كنا نسمع تسبيح الطعام وهو يؤكل » أبو داود والبخارى وأحمد بن حنبل (المعجم المفهرس ، جـ ٢ ، ص ٣٩٣) .

وقال ﷺ : « إن العالم ليستغفر له من فى السماوات ومن فى الأرض والحيتان فى جوف الماء » . وفى رواية : « حتى الحيتان فى الماء » .. رواه أبو داود والترمذى وأحمد وابن ماجة والدارمى وابن حبان فى صحيحه ... وغيرهم وإسناده حسن .

وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال : « قرأ رسول الله ﷺ ﴿ يومئذ تحدث أخبارها ﴾ ثم قال : (أتدرون ما أخبارها ؟) قالوا : الله ورسوله أعلم . قال : (فإن أخبارها أن تشهد على كل عبد وأمة بما عمل على ظهرها . تقول : عملت كذا وكذا فى يوم كذا وكذا . فهذه أخبارها) « رواه .. الترمذى وقال : حديث حسن صحيح (رياض الصالحين ١٦٢ ، المعجم المفهرس ، جـ ٢ ، ص ٥) .

دلالة هذه النصوص :

فهذه النصوص الشريفة من الآيات والأحاديث عمت وخصت . عمت كل شىء فى الكون بلا استثناء حتى أن ذرة واحدة لم تشذ . وخصت عددا من المخلوقات أمثلة ونماذج كالطير والرعد والنجوم والشجر والأحجار والجبال والدواب والظلال والنمل والهدهد وأحد وحجر بمكة والجذع والجمل والحيتان والطعام فضلا عن الملائكة ...

فكشفت تلك الحقيقة الكبيرة التى تفاجىء الكثيرين . وعدلت صورة

الكائنات فى الأذهان وبينت حقيقة العلاقة بينها وبين ربها عز وجل . فالكون مسلم مؤمن وكأنه مسجد كبير تتجاوب جنباته بالتسبيح والتعظيم والتمجيد للأحد الصمد الذى لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد . كل بالأسلوب الذى حدده الله له . شأن الكائنات عندنا شيء وشأنها مع ربنا وربها شيء آخر . هى عند الناس مواد غازية وسائلة وصلبة ، وجمادات ونباتات وحيوانات وشموس وأقمار ومجرات وسماء وأرض وطيور وأسماك وحشرات وبحار وأنهار وأشجار ومعادن ، لا تعقل ولكنها فيما بينها وبين الله مؤمنة موحدة مسبحة منقادة .

هذه هى الصورة الحقيقية للكون لا كما يزيف المزيفون . وهى صورة وضيئة رائقة رائعة تهش لها الفطرة البشرية النقية وتتجاوب معها .

النتيجة :

إذن التاريخ الإسلامى ، تاريخ الإسلام كدين ، لا يبدأ فقط برسالة محمد ﷺ ٦١٣ ميلادية ، ولكنه يبدأ منذ آلاف السنين قبل أن يخلق ، - ليس محمد ﷺ فحسب ولكن قبل أن يخلق آدم عليه (السلام) بسنوات لا يعلم عددها إلا الله عز وجل .

ويترتب على ذلك نتائج كثيرة وعلى جانب كبير من الأهمية ، منها فساد المناهج والمصادر والأبحاث والدراسات التاريخية الحديثة التى تقسم تاريخ البشرية إلى قديم ووسيط وحديث[1] ، جاعلة بداية الإسلام فى العصر الوسيط ببداية رسالة محمد ﷺ ، والتى تجعل أيضا الفترة التى تسبق رسالة محمد ﷺ وتمتد لآلاف ... السنين عبارة عن تاريخ وثنى جاهلى محض لا أثر فيه للإسلام .



---

(١) معالم تاريخ الإنسانية ، موسوعة تاريخ العالم ، تاريخ العالم ، دائرة المعارف الإسلامية .

ثانيا : البداية الحقيقية لتاريخ الأمة المسلمة أو تاريخ الأمة المسلمة الواقع التطبيقي لدين الإسلام يبدأ بخلق آدم مسلما مؤمنا مفطورا على الإسلام :

خلق الله عز وجل . آدم ، وقصة خلق آدم مبسوطة فى القرآن تؤكد هذه الحقيقة .

ونزل آدم إلى الأرض مستخلفا فيها من الله عز وجل ، بشروط منها ، إنه قد ارتضى الإسلام دينا له ولذريته من بعده ﴿ فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه إنه هو التواب الرحيم . قلنا اهبطوا منها جميعا فإما يأتينكم منّى هدى فمن تبع هداى فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون والذين كفروا وكذبوا بآياتنا أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون ﴾ (١) .

وكذلك كان الأمر بالنسبة لحواء وذريتهما ، وبهذا يتضح لنا أن بداية تاريخ الأمة المسلمة تتمثل فى نواة المجتمع البشرى ممثلة فى آدم وحواء وأبنائهما المفطورين على الإسلام وأن الله قد أخذ عليهم العهد بذلك .

﴿ وإذ أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم ؟ قالوا : بلى . شهدنا أن تقولوا يوم القيامة إنا كنا عن هذا غافلين أو تقولوا إنما أشرك آباؤنا من قبل وكنا ذرية من بعدهم أفتهلكنا بما فعل المبطلون ﴾ (٢) أى أن الأصل فى المجتمع البشرى الأول هو الفطرة أى الإسلام . ولمّا كان الشيطان مسلطا على بنى آدم فكانوا عرضة للبعد عن دين الله ونظامه وشرعه فإن رحمة الله سبحانه وتعالى قد اقتضت أن يتعهد أبناء آدم بالرسل والأنبياء من آن لآخر ليردوهم إلى ربهم الواحد ، ودينهم الواحد وهو الإسلام .

---

(١) البقرة : ٣٧ - ٣٩ .
(٢) الأعراف : ١٧٢ - ١٧٣ .

القرآن الكريم يؤكد أن الرسل جميعا دعوا إلى دين واحد هو الإسلام ، وكذلك الحديث الشريف ، وعلى هذا الفهم كان علماء السلف :

القرآن الكريم

﴿ واتل عليهم نبأ نوح إذ قال لقومه يا قوم إن كان كبر عليكم مَّقامي وتذكيري بآيات الله فعلى الله توكلتُ فأجمِعُوا أمركم وشركاءكم ثم لا يكن أمرُكم عليكم غُمَّة ثم اقضوا إلى ولا تنظرون . فإن توليتم فما سألتكم من أجر إن أجرى إلا على الله وأمرت أن أكون من المسلمين ﴾ (١) .

﴿ وقال موسى يا قوم إن كنتم آمنتم بالله فعليه توكلوا إن كنتم مسلمين ﴾ (٢) .... وجاوزنا ببني إسرائيل البحر فأتبعهم فرعون وجنوده بغيا وعدوا حتى إذا أدركه الغرق قال آمنت أنه لا إله إلا الذى آمنت به بنو إسرائيل وأنا من المسلمين ﴾ (٣) .

﴿ ما كان إبراهيم يهوديا ولا نصرانيا ولكن كان حنيفا مسلما وما كان من المشركين . إن أولى الناس بإبراهيم لَلَّذِينَ اتبعوه وهذا النبى والذين آمنوا والله ولى المؤمنين ﴾ (٤) .

ويعقوب عليه السلام : ﴿ أم كنتم شهداء إذ حضر يعقوب الموت إذ قال لبنيه ما تعبدون من بعدى قالوا نعبد إلٰهك وإلٰه آبائك إبراهيم وإسماعيل وإسحاق إلٰها واحدا ونحن مسلمون ﴾ (٥) .

ولوط عليه السلام : ﴿ قال فما خطبكم أيها المرسلون . قالوا إنا أرسلنا إلى قوم مجرمين لنرسل عليهم حجارة من طين مُسَوَّمة عند ربك للمسرفين .

---

(١) يونس : ٧١ — ٧٢ .
(٢) يونس : ٨٤ .
(٣) يونس : ٨٩ — ٩٠ .
(٤) آل عمران : ٦٧ — ٦٨ .
(٥) البقرة : ١٣٣ .

فأخرجنا من كان فيها من المؤمنين . فما وجدنا فيها غير بيت من المسلمين ﴾ (١) .

ويوسف عليه السلام : ﴿ رب قد آتيتنى من الملك وعلمتنى من تأويل الأحاديث فاطر السموات والأرض أنت ولى فى الدنيا والآخرة توفنى مسلما وألحقنى بالصالحين ﴾ (٢) .

وسليمان عليه السلام : ﴿ قالت يا أيها الملأ إنى ألقى إلى كتاب كريم إنه من سليمان وإنه بسم الله الرحمن الرحيم ألا تعلوا على وأتونى مسلمين ﴾ (٣) — ﴿ قال يا أيها الملأ أيكم يأتينى بعرشها قبل أن يأتونى مسلمين ﴾ (٤) — ﴿ فلما جاءت قيل أهكذا عرشك ؟ قالت : كأنه هو ، وأوتينا العلم من قبلها وكنا مسلمين) ...(قيل لها ادخلى الصرح فلما رأته حسبته لجة وكشفت عن ساقيها ، قال إنه صرح ممرد من قوارير قالت رب إنى ظلمت نفسى وأسلمت مع سليمان لله رب العالمين ﴾ (٥) .

وعيسى عليه السلام : ﴿ فلما أحس عيسى منهم الكفر قال من أنصارى إلى الله ؟ قال الحواريون : نحن أنصار الله آمنا بالله واشهد بأنّا مسلمون ﴾ (٦) .

أى أن الرسل جميعا كلفوا برسالات موضوعها الدعوة إلى دين الإسلام منذ نوح عليه السلام وفى هذا يقول سبحانه وتعالى : ﴿ شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذى أوحينا إليك وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه كبر على المشركين ما تدعوهم إليه الله يجتبى إليه من يشاء ويهدى إليه من ينيب ﴾ (٧)

---

(١) الذاريات : ٣١ — ٣٦ .
(٢) يوسف : ١٠١ .
(٣) النمل : ٢٩ — ٣١ .
(٤) النمل : ٣٨ .
(٥) النمل : ٤٢ — ٤٤ .
(٦) آل عمران : ٥٢ .
(٧) الشورى : ١٣ .

وفى القرآن الكريم آيات أخريات تؤكد أن الإسلام هو الدين الذى دعا إليه رسل الله جميعا ، وأنه الدين الذى لا يقبل الله من الأولين أو الآخرين غيره ، منها :

(١) ﴿ وقالوا لن يدخل الجنة إلا من كان هودا أو نصارى ، تلك أمانيهم ، قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين . بلى من أسلم وجهه لله وهو محسن فله أجره عند ربه ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون ﴾ (١) .

فالنص القرآنى ينفى دخول اليهود والنصارى الجنة ، ويقصر ذلك على المسلمين .

(٢) ﴿ وإذ يرفع إبراهيم القواعد من البيت وإسماعيل ، ربنا تقبل منَّا إنك أنت السميع العليم . ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا أمة مسلمة لك وأرنا مناسكنا وتب علينا إنك أنت التواب الرحيم ﴾ (٢) .

وهنا يتضح أن إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام يطلبان من الله عز وجل أن يجعلهما مسلمين ومن ذريتهما أمة مسلمة ، لم يقولا أمة يهودية أو نصرانية .

(٣) ﴿ ومن يرغب عن ملة إبراهيم إلا من سفه نفسه ولقد اصطفيناه فى الدنيا وإنه فى الآخرة لمن الصالحين . إذ قال له ربه أسلم قال أسلمت لرب العالمين . ووصى بها إبراهيم بنيه ويعقوب يابنى إن الله اصطفى لكم الدين فلا تموتن إلا وأنتم مسلمون ﴾ (٣) فكلام الله عز وجل يؤكد :

(أ) أن ملة إبراهيم هى الإسلام .

(ب) وأن السفيه هو من يرغب عن ملة إبراهيم .

(جـ) وأن وصية إبراهيم ويعقوب لأبنائهما هى الإسلام .

(٤) ﴿ وقالوا كونوا هودا أو نصارى تهتدوا قل بل ملة إبراهيم حنيفا وما كان

---

(١) البقرة : ١١١ - ١١٢ .

(٢) البقرة : ١٢٧ - ١٢٨ .

(٣) البقرة : ١٣٠ - ١٣٣ .

من المشركين . قولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط وما أوتى موسى وعيسى وما أوتى النبيون من ربهم لا نفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون ﴾ (١) .

فكلام الله عز وجل هنا – ينفى عن اليهود والنصارى أنهم مهتدون ، ويثبت الهداية لملة إبراهيم ، كما أنه سبحانه وتعالى يؤكد أن الناس مطالبون بالإيمان بالإسلام الذى أنزل على إبراهيم وغيره من الأنبياء عليهم السلام .

(٥) ﴿ قل يأهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله ، فإن تولوا فقولوا اشهدوا بأنّا مسلمون ﴾ (٢) .

دعوة صريحة من الله عز وجل ، لأهل الكتاب من يهود ونصارى إلى الدخول فى الإسلام وعدم الشرك بالله عز وجل ، فلو كانوا على الحق ما طلب منهم الدخول فى الإسلام .

(٦) ﴿ أفغير دين الله يبغون وله أسلم من فى السموات والأرض طوعا وكرها وإليه يرجعون . قل آمنا بالله وما أنزل علينا وما أنزل على إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط وما أوتى موسى وعيسى والنبيون من ربهم لا نفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون . ومن يبتغ غير الإسلام دينا فلن يقبل منه وهو فى الآخرة من الخاسرين ﴾ (٣) .

وللنص القرآنى إيحاءات منها :

إن الدين عند الله الإسلام ، وإنه لا يقبل من أحد دين سوى الإسلام . وأن من فى السماوات والأرض قد أسلموا لله عز وجل طوعا وكرها ، وأن إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب (إسرائيل) والأسباط وموسى وعيسى وجميع الأنبياء مسلمون .

---

(١) البقرة : ١٣٥ – ١٣٦ .
(٢) آل عمران : ٦٤ .
(٣) آل عمران : ٨٣ – ٨٥ .

(٧) ﴿ اليوم يئس الذين كفروا من دينكم فلا تخشوهم واخشون . اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الإسلام دينا . فمن اضطر فى مخمصة غير متجانف لإثم فإن الله غفور رحيم﴾ (١) .

(٨) ﴿ إنا أنزلنا التوراة فيها هدى ونور يحكم بها النبيون الذين أسلموا للذين هادوا والربانيون والأحبار بما استحفظوا من كتاب الله وكانوا عليه شهداء فلا تخشوا الناس واخشون ولا تشتروا بآياتى ثمنا قليلا ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون ﴾ (٢) .

(٩) ﴿ وإذ أوحيت إلى الحواريين أن آمنوا بى وبرسولى قالوا آمنا واشهد بأننا مسلمون ﴾ (٣) .

(١٠) ﴿ قل إنّما يوحى إلى أنما إلهكم إله واحد فهل أنتم مسلمون ﴾ (٤) .

(١١) ﴿ وجاهدوا فى الله حق جهاده هو اجتباكم وما جعل عليكم فى الدين من حرج ملة أبيكم إبراهيم هو سمّاكم المسلمين من قبل وفى هذا ليكون الرسول شهيدا عليكم وتكونوا شهداء على الناس فأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة واعتصموا بالله هو مولاكم فنعم المولى ونعم النصير ﴾ (٥) .

(١٢) ﴿ الذين آتيناهم الكتاب من قبله هم به يؤمنون . وإذا يتلى عليهم قالوا آمنا به إنه الحق من ربنا إنا كنا من قبله مسلمين ﴾ (٦)



---

(١) المائدة : ٣ .
(٢) المائدة : ٤٤ .
(٣) المائدة : ١١١ .
(٤) الأنبياء : ١٠٨ .
(٥) الحج : ٧٨ .
(٦) القصص : ٥٢ — ٥٣ .

الحديث الشريف

الحديث الأول : قال رسول الله ﷺ : « مثلي في النبيين كمثل رجل بَنَى دارًا فأحسنها وأكملها وأجملها وترك فيها موضع لبنة لم يضعها ، فجعل الناس يطوفون بالبنيان ويعجبون منه ويقولون لو تم موضع هذه اللبنة ، فأنا في النبيين موضع تلك اللبنة »(١) .

الحديث الثاني : قال رسول الله ﷺ : « أنا أولى الناس بعيسى بن مريم في الدنيا والآخرة ، والأنبياء إخوة لعلات أمهاتهم شتى ودينهم واحد »(٢) .

الحديث الثالث : قال رسول الله ﷺ : « يأيها الناس إن الربّ واحد ، وإن الدين واحد ، وليست العربية بأحدكم من أب ولا أم وإنما هي اللسان فمن تكلم بالعربية فهو عربي »(٣) .

الحديث الرابع : قال رسول الله ﷺ : « إن الدين عند الله الحنيفية المسلمة »(٤) .

---

(١) أخرجه الإمام أحمد والترمذي عن أبي بن كعب . وأخرجه الإمام أحمد والبخاري ومسلم والترمذي عن جابر بن عبد الله . وأخرجه الإمام أحمد والبخاري ومسلم عن أبي هريرة . وأخرجه الإمام أحمد ومسلم عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنهم أجمعين .

(٢) أخرجه البخاري ، جـ ٤ ، ص ٢٠٣ – والحافظ المنذري في مختصر صحيح مسلم الذي حققه الشيخ ناصر الدين الألباني ، تحت رقم ١٦١٨ . انظر المعجم المفهرس ، جـ ٢ ، ص ١٦٦ ، وقد أخرجه أيضاً الإمام مالك في الموطأ وابن ماجه والإمام أحمد في مسنده ؛ فتح الباري ، جـ ٦ ، ص ٤٧٨ ، وما بعدها .

(٣) اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم ص ١٦٨ – ١٦٩ وما بعدهما .

(٤) رواه الترمذي ، انظر المعجم المفهرس ، جـ ٢ ، ص ١٦٧ .

اتفاق علماء السلف على أن الإسلام هو الدين الذى دعا إليه رسل الله جميعا :

أولا : أورد الحافظ ابن كثير فى كتابه البداية والنهاية [1] : وتقدم فى الحديث « نحن معشر الأنبياء أولاد علات ديننا واحد وأمهاتنا شتى » والمعنى أن شرائعهم وإن اختلفت فى الفروع ونسخ بعضها بعضا حتى انتهى الجميع إلى ما شرع محمد ﷺ ، إلا أن كل نبى بعثه الله فإنما دينه الإسلام وهو التوحيد ، أن يعبد الله وحده لا شريك له كما قال تعالى : ﴿ وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحى إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون ﴾ [2] فأولاد العلّات أن يكون الأب واحد والأمهات متفرقات فالأب بمنزلة الدين وهو التوحيد والأمهات بمنزلة الشرائع فى اختلاف أحكامها قال تعالى : ﴿ لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا ﴾ [3] .

والمقصود أن الشرائع وإن تنوعت فى أوقاتها إلا أن الجميع آمرة بعبادة الله وحده لا شريك له ، وهو دين الإسلام الذى شرعه الله لجميع الأنبياء ، وهو الدين الذى لا يقبل الله غيره يوم القيامة كما قال الله تعالى : ﴿ ومن يبتغ غير الإسلام دينا فلن يقبل منه وهو فى الآخرة من الخاسرين ﴾ [4] .

ثانيا : كما أورد شيخ الإسلام ابن تيمية فى الرسالة التدمرية [5] : « فأمر الله الرسل بإقامة الدين وأن لا يتفرقوا فيه ولهذا قال النبى ﷺ فى الحديث الصحيح « إنا معاشر الأنبياء ديننا واحد والأنبياء إخوة لعلات وإنّ أولى الناس بعيسى بن مريم لأنا ، إنه ليس بينى وبينه نبى » وهذا الدين هو دين الإسلام ... الذى لا يقبل الله دينا غيره لا من الأولين ولا من الآخرين فإن جميع الأنبياء على دين الإسلام . (الخ ما بين شيخ الإسلام) وهذا هو الذى بينه رسول الله ﷺ حينما قال : « مثلى فى النبيين كمثل رجل بنى دارا فأحسنها وأكملها وأجملها وترك فيها موضع

---

(1) جـ ٢ ، ١٥٣ — ١٥٤ .
(2) الأنبياء : ٢٥ .
(3) المائدة : ٤٨ .
(4) آل عمران : ٨٥ .
(5) فى تحقيق أسماء الله وصفاته وبيان حقيقة الجمع بين الشرع والقدر جـ ٣ ، ص ٤٥ ، ٤٦ .

لبنة لم يضعها فجعل الناس يطوفون بالبنيان ويعجبون منه ويقولون لو تم موضع هذه اللبنة فأنا في النبيين موضع هذه اللبنة » (١) .

ثالثا : شرح العقيدة الطحاوية للعلامة ابن أبي العز الحنفي ، حققها وراجعها جماعة من العلماء وخرج أحاديثها محمد ناصر الألباني والتوضيح بقلم زهير الشاويش ، المكتب الإسلامي، ط ٤ بيروت ١٣٩١ .

قوله : « ودين الله في الأرض والسماء واحد ، وهو دين الإسلام » ، قال الله تعالى : ﴿ إن الدين عند الإسلام ﴾ آل عمران : ١٩ . وقال تعالى : ﴿ ورضيت لكم الإسلام دينا ﴾ المائدة : ٣ .

ش : ثبت في الصحيح عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال : « إنا معاشر الأنبياء ديننا واحد » ؛ وقوله تعالى : ﴿ ومن يبتغ غير الإسلام دينا فلن يقبل منه ﴾ آل عمران : ٥٨ ، عام في كل زمان ، ولكن الشرائع تتنوع ، كما قال تعالى : ﴿ لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا ﴾ المائدة : ٤٨ ، فدين الإسلام هو ما شرعه الله سبحانه وتعالى لعباده على ألسنة رسله ، وأصل هذا الدين وفروعه رويته عن الرسل ، ص ٥٨٥ .

ماذا يترتب على هذا الفهم الصحيح الغائب تماما عن مناهج ومصادر ومراجع وأبحاث التاريخ :

وفي ضوء هذا التصحيح يرى المؤرخ المسلم أن البداية الحقيقية لتاريخ الإسلام هي خلق الكون مسلما أي مستسلما لله عز وجل ، وبدايته بالنسبة للبشرية مع خلق آدم عليه السلام الذي كان مفطورا على الإسلام ، أي أن مجتمع آدم المكون منه ومن زوجته وذريته فطروا أصلا على الإسلام وكذلك كان نوح(٢) وهود وإبراهيم وصالح الخ الأنبياء — صلوات الله وسلامه عليهم — ، الذين كانوا هم

---

(١) أخرجه أحمد والترمذي عن أبي بن كعب وأخرجه الإمام أحمد والبخاري ومسلم عن أبي هريرة . انظر أيضاً ، اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم ، ص ٤٥٠ — ٤٥٦ ؛ الإسلام ، جـ ١ ، ص ٥ .

(٢) وكان بين آدم ونوح عشرة قرون كلهم على الإسلام ، فإن كان المراد بالقرن مائة سنة فبينهما =

شرف حمل رسالة الدعوة إلى الإسلام ، وأنه قد تبع هؤلاء الأنبياء والرسل أقوام عاشوا على الإسلام وبالإسلام ومنهم تكونت الأمة الإسلامية . ولهذا يجب معالجة تاريخ الأمة الإسلامية . الواقع التطبيقى لهذا الدين كوحدة واحدة ابتداء من آدم عليه السلام وليس بداية بمحمد ﷺ ، وحتى عصرنا الحاضر والمستقبل ، وهذا يعنى أن عمر تاريخ الأمة المسلمة يمتد لبضعة آلاف من السنين وليس ألف وخمسمائة عام فقط .

ويترتب على إدراك هذه الحقيقة أيضا النظر إلى تاريخ الأمم التى سكنت الجزيرة العربية — مصر — العراق — بلاد الشام — اليونان — الروم ... الخ منذ أقدم الدهور على أنه تاريخ أمم عاشت فى ظل دعوة الرسل، بعض منها اعتنق الإسلام وكون المجتمع المسلم ومنهم من رفض دعوة الرسل وظل مصرا على جاهليته ، أى أن المجتمع كان موزعا بين الجاهلية والإسلام . وليس تاريخا جاهليا محضا (أو وثنيا) . ويترتب على ذلك أيضاً أن لهذا الكون خالق خلق الكون واستخلف الإنسان فيه لغاية ، وأنه قد زوده بمقومات الخلافة ، وأعلمه عن طريق الرسل بعد أن أخذ عليه العهد أنه مكلف بالإسلام كدين لا يمكن أن يقبل الله من الأولين أو الآخرين غيره .

وإظهار هذه الحقيقة ، حقيقة بداية تاريخ الإسلام كدين فى حياة البشرية وأنه الدين الواحد الذى دعا إليه الرسل جميعا ، وأنه بمثابة الصرح الضخم الذى قام كل نبى ببناء لبنة فيه حتى اكتمل على يد محمد ﷺ بإرادة الله عز وجل وتوفيقه ، وكذلك بداية تاريخ الأمة الإسلامية سوف يترتب عليها — نتائج هامة وخطيرة فى حقل الدراسات التاريخية .

= ألف سنة لا محالة لكن لا ينفي أن يكون أكثر باعتبار ما قيد به ابن عباس بالإسلام إذ قد يكون بينهما قرون أخر متأخرة لم يكونوا على الإسلام. وإذا كان المراد بالقرن الجيل من الناس فقد كان الجيل قبل نوح يعمرون الدهور الطويلة ، فعلى هذا يكون بين آدم ونوح ألوف من السنين والله أعلم) البداية والنهاية جـ ١ ، ص ١٠١ .

الجزء الرابع

(ب) تبنى ما يسمى بمنهج علم الدين المقارن فى مناهج الدراسات التاريخية :

ولخدمة مخطط هدم الإسلام كنظام حياة تبنى الكيد الشيطانى والتآمر العالمى وسيلة أخرى وهى إدخال ما يسمى علم مقارنة الأديان (١) فى مناهج الدراسات التاريخية والاجتماعية لدور العلم . ومنهج ما يسمى بعلم الأديان هو المنهج الذى يتبناه كل كتاب ما يسمى بالتاريخ القديم والآثار على مستوى دور العلم فى بلاد العالم أجمع بلا استثناء . فإذا رجعنا إلى مصادر ومراجع ومناهج ما يسمى بالتاريخ القديم والآثار بجامعات العالم سوف يتأكد لنا أن الذين عالجوا تاريخ الأمم منذ أقدم عصورها كتاريخ مصر القديمة والعراق القديم وبلاد الشام والجزيرة الغربية وإيران وتركيا وبلاد اليونان والروم عالجوه على أنه تاريخ وثنى جاهلى محض ، أى حينما كتبوا تاريخ الدين لهذه البلاد صوروا أهل البلاد وقد خلقوا ولم يكونوا يعرفون لهم ربا ولا يرتضون لهم دينا . كما أنهم قد تجاهلوا أنه قد أرسل إليهم رسلا يعرفونهم بربهم الحق ودينهم الحق ، ولذلك فإن أهل تلك البلاد – كما زعموا – قد تصوروا لهم آلهة على قدر نضوجهم الفكرى تأثراً بالحيوان ، وأنهم تطوروا فى دينهم من التعدد إلى التثنية إلى التوحيد . وهكذا يتضح معاداة هذه المصادر والمراجع والمناهج بجامعات العالم للاتجاه الدينى عموما والاتجاه الإسلامى على وجه الخصوص (انظر ديانة مصر القديمة لأدولف أرمان) ترجمة

---

(١) كما أدخلوا فى مناهج دور العلم ما يسمى بعلم مقارنة اللغات وتطورها وما يسمى بعلم دراسة الأجناس (الأنتروبولوجى) إلى غير ذلك من المواد التى تعاون فى تحقيق المنطلق الثانى ؛ أحمد شلبى ، مقارنة الأديان اليهودية ؛ مقارنة الأديان المسيحية مقارنة الأديان الإسلام ؛ مقارنة الأديان الهندوكية ؛ الدعوة إلى الإسلام ؛ ص ٥٢ ؛ حضارة العرب ، ص ١١٥ ؛ قصة الحضارة ، جـ ٢ ، م ٤ ، ط ٢ ، ص ٢٣ – ٢٤ ؛ تاريخ العرب المطول ، ط ٣ ، جـ ١ ، ص ٨١ ، ١٧٦ ؛ الحضارات السامية القديمة ، ص ٢٠٨ ؛ حضارة مصر والشرق القديم ص ٢٠٧ ؛ الشرق الأدنى القديم ، جـ ١ ، مصر والعراق ، ص ٣١٢ ، العرب قبل الإسلام ؛ الشرق الخالد ، ص ٤١٤ ، ٤١٥ .

د. محمد أنور شكرى، ود. محمد عبد المنعم أبو بكر، ص ٤ ؛ تطور الفكر والدين، لجميس هنرى برستد ترجمة زكى سوس، تراث العالم القديم، دى بورج ترجمة زكى سوس، الشرق الأدنى القديم، مصر والعراق، ... للأستاذ د. عبد العزيز صالح، حضارة مصر والشرق القديم لمحمد أنور شكرى وآخرين ؛ الحضارة المصرية للدكتور سليم حسن).

وسوف نضع قائمة فى آخر الكتاب ببعض مصادر التاريخ القديم الذى يتبنى الاتجاه المعادى للإسلام (١).

والذين يتبنون هذا المنهج يعالجون قضية الإسلام كدين على أنه بدعة نصرانية، وأنه من تأسيس محمد ﷺ الذى ألف الإسلام من العقائد الجاهلية واليهودية والنصرانية (٢)، ومعنى ذلك أن الأصل فى عقيدة البشرية هى المعتقدات الفاسدة. وكاتب التاريخ الذى يسيطر عليه هذا التصور، لا يرى فى الإسلام فضلا على غيره من العقائد الفاسدة، وأن الأمة المسلمة قد تسولت دينها من على موائد الجاهلية. فحينما كتب الكتاب تاريخ مصر والعراق وبلاد الشام والجزيرة العربية منذ أقدم العصور على سبيل المثال – زعموا أن الأصل فى عقيدة أهل تلك الأقطار الوثنية وأنهم تطوروا فى وثنيتهم من التعدد إلى التثنية إلى التوحيد، وأن أول الموحدين فى مصر من تلقاء نفسه فى التاريخ هو الفرعون أخناتون «أمنحتب الرابع» الذى كان يعبد القوة الكامنة وراء إله الشمس آتون (٣)، وأن عبادته هى الحقيقة والدين الصحيح (٤)، وأن فكرته قد انتقلت إلى بلاد العراق

---

(١) وللأسف تبنى نفس المنهج، موسوعة العقاد الإسلامية، جـ ١، دار الكتاب العربى بيروت ١٩٧٠، ص ١٧ ؛ ص ٢٥ : حيث يقول : (ترقى الإنسان فى العقائد كما ترقى فى العلوم والصناعات؛ ويذكر أن موسى دعا إلى اليهودية وأن عيسى دعا إلى المسيحية، ص ٣١٩.

(٢) حضارة العرب، ص ١٢٥ ؛ تاريخ العرب العام، ص ١٣ ؛ قصة الحضارة، ج ٢، م ٤، ط ٢، ص ٢٢، ٢٣ تاريخ العرب المطول، ص ٨١، ١٧٦ ؛ الحضارات السامية القديمة، ص ٢٠٨.

(٣) تراث العالم القديم، جـ ٢، ص ٣٣ ؛ الشرق الخالد، ص ب ؛ تطور الفكر والدين فى مصر القديمة، ص ٤٥٧ – ٤٥٩ – ٤٦٤، ٤٦٧، ٤٦٨ ؛ حضارة مصر الفرعونية، ص ٢٨١، ٢٨٣، ٣٩٠، ٣٩١.

(٤) حضارة مصر والشرق القديم، ص ٢٠٧، الشرق الخالد، ص ٤٠٣، يقول الكاتب أن ديانة آتون كانت توحيداً حقيقيا.

حيث أقام إبراهيم دينه أى أن إبراهيم هو مؤسس الإسلام أى أنه ليس وحيا من عند الله .

وقد تبنّى الكيد الشيطانى والتآمر العالمى الذى يقوم على أكتاف اليهود والنصارى والكثيرين من أبناء العرب والمسلمين منهج مقارنة الأديان فى مجال الدراسات التاريخية ليصلوا فى النهاية ببنى آدم أنه لا إله ولا وحى ولا نبوات ولا رسالات ولا استخلاف ولا غاية من وراء خلق الكون .... والإنسان ، ولا ضابط لحركة الإنسان من دين أو خلق على سطح الأرض وهو يقوم بدوره فى تاريخ البشرية . وبالتالى تزول الفواصل الحقيقية بين الإسلام كدين صحيح وغيره من العقائد والديانات الفاسدة كاليهودية والنصرانية والبوذية والهندوكية . وبالتالى لا توضع البشرية أمام ضرورة اعتناق الإسلام كدين ولكن لها الحق فى اعتناق أى فكر أو عقيدة طالما تقتنع بها بغض النظر عن صحتها من عدمه . وبالتالى يصبح أصحاب العقائد الفاسدة لهم الحق فى مباشرة الدعوة إلى عقائدهم دون حائل أو رادع من قوى المسلمين .

إذن يمكن القول بيقين أن مناهج ومراجع ومصادر ما يسمى بالتاريخ القديم يقوم على منهج معاد للدين الإسلامى ولله ولرسله ولأنبيائه وبالتالى يستلزم ذلك منا التوجه بالسؤال التالى إلى علماء المسلمين الذين لا يخشون فى الله لومة لائم هل يجوز تدريس مناهج التاريخ القديم التى تقوم على منهج معاد للإسلام فى مصادرها ومراجعها الحالية وعلى أيدى أساتذة رصفوا هذا الفكر الاستشراقى المعادى للدين ولم يبدر منهم أى بادرة نحو تصحيحه وإنكار تدريسه فى دور علم إسلامية لأبناء وبنات المسلمين .

وسنضرب هنا مثلا بمعالجة أحد الكتاب من أبناء المسلمين لموضوع « مقارنة الأديان » الذى يدرس كمنهج علمى فى كثير من دور العلم فى بلاد المسلمين لنتبين مدى المخاطر التى نجمت وتنجم عن تبنى هذا المنهج على عقيدة الأمة المسلمة ودينها .

الكاتب هو الدكتور أحمد شلبى فى كتابه « مقارنة الأديان اليهودية » ،

وهو أحد كتب أربعة فى مقارنة الأديان المسيحية والإسلام والهندوكية ، ص ٢٥ ، ٢٦ ، ٢٧ ، ٣٢) .

مضمون مزاعم الكتاب : أن الله قد أرسل رسلا يدعون إلى الدين المسيحى والدين اليهودى ، « وأن الإسلام – فى زعم الكتاب – يعلن أنه الحلقة الأخيرة فى سلسلة الأديان وأنه بالتالى ورث أهم ما فى الأديان (اليهودية والمسيحية) وأضاف إلى ذلك ما تحتاجه البشريةفى مسيرتها إلى يوم الدين ، وللتدليل على ذلك الزعم استشهد الكاتب بقول الله تعالى : ﴿ شرع لكم من الدين ما وصّى به نوحا والذى أوحينا إليك ، وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى ﴾ (١) . ويزعم الكتاب أيضا أن الكفر باليهودية والمسيحية وغيرها ضلال يستحق مرتكبه العذاب الشديد ولإثبات زعمه استشهد بالآية القرآنية ﴿ الله لا إله إلا هو الحى القيوم ، نزل عليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه وأنزل التوراة والإنجيل من قبل هدى للناس وأنزل الفرقان ، إن الذين كفروا بآيات الله لهم عذاب شديد ﴾ (٢) كما أحال الكاتب فهمه هذا على ظلال القرآن لسيد قطب (٣) ، رحمه الله . والكاتب أيضا يفسر « آيات الله » باليهودية والنصرانية .

كما يزعم الكاتب أن الإسلام قد وضع جذور ما يسمى علم مقارنة الأديان ويتهم الكاتب المسلمين بالتعصب والجمود لأنهم لم يهتموا بمقارنة الأديان ، يردد الكاتب ما أورده آدم متز اليهودى فى كتابه الحضارة الإسلامية فى القرن الرابع الهجرى ، جـ ١ ، ص ٣٦٦ من نسبة ما يسمى بعلم مقارنة الأديان إلى المسلمين ، ثم يظهر الكاتبُ سروره لأن منهج مقارنة الأديان قد أصبح من بين المناهج الدراسية فى دور العلم . وإذا أخضعنا ما طرحه كتاب مقارنة الأديان للتقويم فى ضوء التصور الإسلامى ، فسوف نخلص إلى النتائج التالية :

أولا : لا يوجد دليل من القرآن أو سنة النبى محمد ﷺ على أن الله قد

---

(١) الشورى : آية ١٣ . (٢) آل عمران : ٢ – ٤ .

(٣) فى ظلال القرآن ، جـ ٣ ، ص ٥٣ – ٥٤ ، ولكن بالرجوع إلى تفسير الآية فى ظلال القرآن وجدناها بالمجلد الأول (طبعة دار الشروق ، بيروت ١٣٩٣ هـ) ، ص ٣٦٨ ولا تعطى مطلقا المعنى الذى ذهب إليه الدكتور أحمد شلبى .

أرسل رسولاً يدعو إلى دين اسمه اليهودية أو المسيحية .

ثانيا : اليهودية هي دين أصحاب العقيدة الفاسدة ﴿ وقالت اليهود عزير بن الله ﴾ والمسيحية هي دين أصحاب العقائد الفاسدة ﴿ وقالت النصارى : إن الله ثالث ثلاثة ﴾ ؛ ﴿ وقالت اليهود والنصارى نحن أبنوء الله وأحباؤه ﴾ .

ثالثا : لو كانت اليهودية والنصرانية دينا مقبولا عند الله عز وجل من البشرية في طور من أطوارها ما نفاها عن نبيه إبراهيم عليه السلام ﴿ ما كان إبراهيم يهوديا ولا نصرانيا ولكن كان حنيفا مسلما ﴾ إذن فالدين الذي دعا إليه جميع الأنبياء والمرسلين هو الإسلام الذي لا يقبل الله من الأولين أو الآخرين غيره وإن .... اختلفت الشرعة والمنهاج ﴿ لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا ﴾ .

رابعا : قول الكاتب أن الإسلام قد ورث أهم ما في الأديان (أي اليهودية والمسيحية ؟؟) هو ترديد لما قال المستشرقون اليهود والنصارى [١] .

خامسا : تفسير د . أحمد شلبي لقوله تعالى ﴿ شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذي أوحينا إليك وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى ... ﴾[٢] .

بأن الإسلام قد ورث أهم ما في الأديان وأنه الحلقة الأخيرة في سلسلة الأديان ، تفسير غير صحيح ولم يقل به أحد من مفسري السلف وعلى العكس من التفسير الذي قدمه د . شلبي ، تثبت الآية أن الإسلام الذي وصى الله به نوحا هو من جنس الإسلام الذي أوحى الله به إلى محمد صلى الله عليه وسلم وهو نفس الإسلام الذي وصى الله به إبراهيم وموسى وعيسى [٣] وإن كان لكل منهم شرعة ومنهاجاً .

سادسا : انحراف في فهم الكاتب حينما زعم أن الكفر باليهودية أو المسيحية وغيرها ضلال يستحق مرتكبه العذاب الشديد ، وكان انحرافه أشد

---

(١) الحضارة السامية القديمة ، ص ٢٠٨ ، تاريخ العرب المطول ، ص ٨١ ، ١٧٦ ؛ حضارة العرب ، ص ١٢٥ ؛ تاريخ العرب العام ، ص ١٣ .

(٢) الشورى : ١٣ .

(٣) الجامع لأحكام القرآن ، جـ ١٦ ، ص ١٠ ؛ تفسير القرآن العظيم ، جـ ٤ ، ص ١٠٩

حينما فسر « آيات الله » بأنها « أديان الله » فى قوله تعالى ﴿ إن الذين كفروا بآيات الله لهم عذاب شديد ﴾ .

وهو حمل لآية من آيات الله على غير وجهها الصحيح ، ولم يقل بذلك أحد من مفسرى السلف (١) .

سابعا : لا دليل على زعم الكاتب فى أن القرآن يضع جذور ما يسمى بعلم مقارنة الأديان ، بل وذلك افتراء على كتاب الله ، وافتئات عليه بغير علم . واتهام الكاتب للمسلمين الأوائل بالتعصب ، لأنهم لم يتبنوا مقارنة الأديان افتئات على الناس بالباطل وسبب عدم اهتمام المسلمين بعلم مقارنة الأديان يرجع إلى أنهم كانوا يعتبرون أن الاشتغال بهذا العلم غير جائز شرعا وكانوا فى عافية من دينهم ، ولذلك فالغزو لم يفت فى عضدهم ، ولم تجد المذاهب الباطلة سبيلا إلى كتبهم او مناهجهم أو دور علمهم .

إن ما يسمى علم مقارنة الأديان ولد يهوديا بل أن أكثر من روج له هم اليهود (وهذا ما يقول به د . أحمد شلبى فى كتابه اليهودية ص ٣٢) والهدف منه تمييع الفواصل الحاسمة بين عقيدة الإسلام والعقائد الكفرية : اليهودية والمسيحية ؛ هى العقائد المطالب المسلمون الكفر بها .

وهذا الفهم يقول به الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز رئيس دار الإفتاء فى فتواه التى جاءت ردا على مؤتمر التقارب بين الأديان (٢) ونثبتها هنا إتماما للفائدة : « أما بعد : فقد نشرت جريدة عكاظ فى عددها ٣٠٣١ الصادر بتاريخ ١٣٩٤/٨/٢٧ هـ خبرا يتعلق بإقامة صلاة الجمعة فى مسجد قرطبة وذكرت فيه أن الاحتفال بذلك تأكيد لعلاقات الأخوة والمحبة بين أبناء الديانتين

---

(١) الجامع لأحكام القرآن ، جـ ٤ ، ص ٤ ه ٥٠ ؛ تفسير القرآن العظيم ، جـ ٢ ، ص ٣٣٤ .

(٢) لقد ترتب على هذه الدعوة الباطلة أفراد آمنوا بأن اليهودية والنصرانية دينان سماويان ارتضاهما الله للبشرية وأن هناك رسل قد دعوا إليهما ، وأنهما ديانتا توحيد كالإسلام وأن الإسلام هو الحلقة الأخيرة فى سلسلة الأديان . كما دُعى إلى مؤتمرات التقارب بين الأديان اليهودية والنصرانية وكل ذلك يهدف إلى الالتفاف حول الإسلام والإجهاز عليه وعلى أهله ، وصدق الله إذ يقول : ﴿ لتجدن أشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين أشركوا ﴾ ؛ انظر المجتمع الكويتية ٢٣٢ لعام ١٣٩٥ ص ٢٠ .

الإسلام والمسيحية ، انتهى المقصود كما نشرت صحيفة أخبار العالم الإسلامى فى عددها ٣٩٥ الصادر بتاريخ ١٣٩٤/٨/٢٩ هـ الخبر المذكور وذكرت ما نصه : « ولا شك أن هذا العمل يعتبر تأكيد لسماحة الإسلام وأن الدين واحد » إلى آخره .

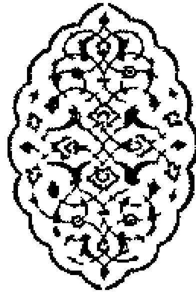
« ونظرا إلى ما فى هذا الكلام من مصادمة الأدلة الشرعية على أنه لا أخوة ولا محبة بين المسلمين والكافرين وإنما ذلك بين المسلمين أنفسهم ، وأنه لا اتحاد بين الدينين الإسلامى والنصرانى لأن الدين الإسلامى هو الحق الذى يجب على جميع أهل الأرض المكلفين اتباعه . أما النصرانية فكفر وضلال بنص القرآن الكريم . ومن الأدلة على ماذكرناه قول الله سبحانه وتعالى فى سورة الحجرات : ﴿ إنما المؤمنون إخوة فأصلحوا بين أخويكم ﴾ الآية وقول النبى ﷺ : (المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يحقره) الحديث . وقول الله عز وجل فى سورة الممتحنة : ﴿ قد كانت لكم أسوة حسنة فى إبراهيم والذين معه إذ قالوا لقومهم إنَّا برءاؤا منكم ومما تعبدون من دون الله كفرنا بكم وبدَا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء أبدا حتى تؤمنوا بالله وحده ﴾ الآية وقوله سبحانه وتعالى فى سورة المجادلة ﴿ لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم أولئك كتب فى قلوبهم الإيمان وأيدهم بروح منه ويدخلهم جنات تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها رضى الله عنهم ورضوا عنه أولئك حزب الله ألا إن حزب الله هم المفلحون ﴾ وقوله تعالى فى سورة التوبة : ﴿ والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض ﴾ الآية وقوله سبحانه فى سورة المائدة : ﴿ يأيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء بعضهم أولياء بعض ومن يتولهم منكم فإنه منهم إن الله لا يهدى القوم الظالمين ﴾ . وقوله عز وجل فى سورة آل عمران ﴿ إن الدين عند الله الإسلام ﴾ الآية قوله تعالى فى السورة المذكورة ﴿ ومن يبتغ غير الإسلام دينا فلن يقبل منه وهو فى الآخرة من الخاسرين ﴾ وقوله عز وجل فى سورة المائدة ﴿ لقد كفر الذين قالوا إن الله هو المسيح بن مريم ﴾ الآية وقوله سبحانه وتعالى فى سورة المائدة أيضا ﴿ لقد كفر الذين قالوا إن الله ثالث ثلاثة وما من إله إلا إله واحد ﴾ الآية وقوله تعالى فى سورة الكهف : ﴿ قل هل ننبئكم بالأخسرين أعمالا : الذين

ضل سعيهم فى الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا ، أولئك الذين كفروا بآيات ربهم ولقائه فحبطت أعمالهم فلا نقيم لهم يوم القيامة وزنا ﴾ ففى هذه الآيات الكريمات والحديث الشريف وما جاء فى معنى ذلك من الآيات والأحاديث ما يدل دلالة ظاهرة على أن الأخوة والمحبة إنما تكون بين المؤمنين أنفسهم .

أما الكفار فيجب بغضهم فى الله ومعاداتهم فيه سبحانه ، وتحرم موالاتهم وتوليتهم حتى يؤمنوا بالله وحده ويَدَعُوا ما هم عليه من الكفر والضلال .

كما دلت الآيات الأخيرة على أن الدين الحق هو دين الإسلام الذى بعث الله به نبيه محمدا ﷺ وسائر المرسلين ، وهذا هو معنى قول النبى ﷺ (نحن معاشر الأنبياء ديننا واحد) أما ما سواه من الأديان الأخرى سواء كانت يهودية أو نصرانية أو غيرهما فهو باطل وما فيه من حق فقد جاءت شريعة نبينا محمد ﷺ به أو ماهو أكمل منه لأنها شريعة عامة لجميع أهل الأرض أما ماسواها فشرائع خاصة نسخت بشريعة محمد ﷺ التى هى أكمل الشرائع وأعمها وأنفعها للعباد فى المعاش والمعاد كما قال الله سبحانه يخاطب نبيه محمد ﷺ ﴿ وأنزلنا إليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه من الكتاب ومهيمنا عليه فاحكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم عما جاءك من الحق لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا ﴾ الآية وقد أوجب الله على جميع المكلفين من أهل الأرض اتباعه والتمسك بشرعه كما قال تعالى فى سورة الأعراف بعد ذكر صفة محمد عليه الصلاة والسلام ﴿ فالذين آمنوا به وعزروه ونصروه واتبعوا النور الذى أنزل معه أولئك هم المفلحون ﴾ ثم قال عز وجل بعدها ﴿ قل يا أيها الناس إنى رسول الله إليكم جميعا الذى له ملك السموات والأرض لا إله إلا هو يحى ويميت فآمنوا بالله ورسوله النبى الأمى الذى يؤمن بالله وكلماته واتبعوه لعلكم تهتدون ﴾ ونفى الإيمان عن جميع من لم يُحَكِّمْهُ فقال سبحانه فى سورة النساء ﴿ فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا فى أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما ﴾ وحكم على اليهود والنصارى بالكفر والشرك من أجل نسبتهم الولد لله سبحانه وتعالى واتخاذهم أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله عز وجل . بقوله

تعالى فى سورة التوبة «﴿ وقالت اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله ذلك قولهم بأفواههم يضاهئون قول الذين كفروا من قبل قاتلهم الله أنى يؤفكون اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله والمسيح ابن مريم وما أمروا إلا ليعبدوا إلها واحدا لا إله إلا هو سبحانه عما يشركون يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون . هو الذى أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون ﴾ ولو قيل أن هذا الاحتفال يعتبر تأكيدا لعلاقات التعاون بين أبناء الديانتين فيما ينفع الجميع لكان ذلك وجيها ولا محذور فيه وَلِوَاجِب النصح لله ولعباده رأيت التنبيه على ذلك لكونه من الأمور العظيمة التى قد تلتبس على بعض الناس » .



الفصل الثالث

الجزء الأول

(جـ) كما حرص ويحرص الذين كتبوا ويكتبون التاريخ ، لهدم الدين الإسلامى – على – التجاهل والتجهيل والتشويه المتعمد لصورة الخالق عز وجل ولسير الأنبياء والرسل صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين مع تجريحهم والتشكيك فى عدالتهم بل والتشكيك – أحيانا فى وجودهم أصلا ، مع محاولة تصويرهم بمظهر المصلحين الذين استكملوا سمات معينة أعانتهم على ادعاء تكليفهم برسالات من عند الله عز وجل .

والذين كتبوا تاريخ الأمم ويعملون لتحقيق هدفهم السالف الذكر .... عالجوا تاريخ الأمم بمعزل عن سير الرسل والأنبياء ، فالذين عالجوا تاريخ مصر (١) منذ أقدم الدهور عالجوه بمعزل عن دعوة الإسلام التى حمل لواءها يوسف وموسى عليهما السلام ، أى عالجوه كتاريخ وثنى جاهلى محض لا أثر فيه لدعوة الرسل ، وسموه بالتاريخ القديم أو تاريخ العصور الحجرية ، أو عصور ما قبل التاريخ . والذين عالجوا تاريخ الجزيرة العربية (٢) حاولوا طمس الإسلام الذى دعا إليه هود وصالح وشعيب وإسماعيل عليهم السلام ؛ بل وطمس معالم وجودهم واعتبروا تاريخهم تاريخا أسطوريا يسبق التاريخ الحقيقى لهذه الأمة التى سكنت جزيرة العرب (٣) . والذين عالجوا تاريخ الجزيرة منذ القدم حاولوا مسح السمت الإسلامى الذى كان يظلل العلاقة التى قامت بين دولة سبأ ودولة سليمان وكان

---

(١) أرمان ، وانكه ترجمة عبدالمنعم أبوبكر وآخرين . مصر والحياة المصرية فى العصور القديمة . دريتون ، فانديه ترجمة عباس بيومى ، مصر ؛ جون ولسون ترجمة أحمد فخرى ، الحضارة المصرية . القاهرة ١٩٥٣ ؛ سليم حسن . مصر القديمة ، أنطون مورتكات ، ترجمة توفيق سليمان وآخرين ، تاريخ الشرق الأدنى القديم ، دمشق ١٩٦٧ .

(٢) قصة الحضارة ، جـ ١ ، م ١ ؛ جـ ٢ ، م ١ .

(٣) العرب قبل الإسلام ؛ عصر ما قبل الإسلام .

محورها الدعوة إلى الإسلام (١) .

والذين كتبوا تاريخ العراق (٢) منذ القدم أسقطوا من كتاباتهم سيرة نوح وإبراهيم ويونس عليهم السلام . وكلما ظهر من القرائن ما يؤكد قيام هؤلاء الرسل بالدعوة إلى الإسلام فى تلك البلاد – كمخلفات الطوفان المادية والفكرية ذهبوا يغيبونها حتى لا ينكشف أمام القارىء القرائن الدالة على أن الله سبحانه وتعالى كان يتعهد الناس بالرسل منذ القدم ليردُّوهم إلى ربهم الحق ودينهم الحق .

والذين عالجوا تاريخ بلاد الشام عالجوه بمعزل عن الرسالات السماوية التى حمل لواءها لوط وسليمان وعيسى وغيرهم من الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين .

وحينما عالجوا سيرة محمد ﷺ عالجوها على اعتبار أنه أحد المصلحين الذين استفادوا بجهود من سبقهم ، وأنه قد ألف من اليهودية والنصرانية والجاهلية دينا جديدا هو الإسلام (٣) .

ولقد ترتب على ذلك أثر خطير وهو أن دور العلم فى بلاد المسلمين درجت على معالجة تاريخ الأنبياء والرسل بمعزل عن تاريخ الأمم التى بعثوا فيها ، وبهذا أقروا مبدءًا غير إسلامى خطط له المستشرقون وهو فصل حياة الأمم وتاريخها عن دينها ودعوة أنبيائها ورُسُلِها .

كما ترتب على ذلك إهمال بضعة آلاف سنة على الأقل من تاريخ الأمة الإسلامية ، وتركه لمبضع المستشرقين ، يشرِّحونه ويشوِّهونه ، ويبعثرونه ، قطعا ونتفا ، حتى يتعذر على المسلمين الاهتداء إلى ذلك التاريخ الإسلامى . وقد تحقق ذلك ، وأصبح جزءاً كبيراً من تاريخ الأمة الإسلامية طول فترته الزمنية بضعة

---

(١) حضارة مصر الفرعونية ، تاريخ الشرق الأدنى القديم ؛ قصة حضارة ، جـ ٢ ، م ١ ، ط م ١ ، ط

(٢) قصة الحضارة ، جـ ٢ ، م ١ ، ط ٣ ، ص ٣٣٣ .

(٣) على سبيل المثال : تاريخ العرب المطول ، تاريخ العرب العام ، حضارة العرب ؛ الحضارات السامية القديمة .

آلاف عام تقريبا فى عداد الأموات المجهولين ، وعملت الترتيبات على أن يدرس هذا التاريخ فى دور العلم على مستوى العالم أجمع على أنه تاريخ جاهلى وثنى وأسموه بالعصور الحجرية ، وما قبل التاريخ (الخ) لا أثر فيه للإله ولا للرسل ولا للدين . مثال ذلك عرب ما قبل الإسلام – مصر والشرق القديم ، العراق القديم – بلاد الشام[1] .. الخ .

نماذج من التشويهات التى تجرَّأبها المشتغلون بالتاريخ على ذات الله سبحانه وتعالى – وشوهوا بها تاريخ الرسل والأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين :

إنكار أبوة آدم عليه السلام « للبشر » والنظر إلى آدم وبنيه على أنهم سلالات متطورة من الحيوانات . بل وزعم كتاب التوراة أن آدم قد ارتفع بعد عصيانه لأوامر الله عز وجل وأكله من الشجرة إلى مصاف الآلهة فقد أدرك الخير والشر ، وكان الرب عندما خلقه حريصا على بقائه جاهلا بهما . بل ويصل الأمر إلى أبعد من ذلك ، فيزعم كتاب التوراة أن الرب قد حزن لأنه قد خلق آدم لأنه ملأ الأرض شرورا (٢) وهكذا تعدى الاعتداء على الأنبياء إلى ذات الله عز وجل .

فنراهم فى موضع آخر يصورون الله عز وجل بأنه يتعب ، لأنه لما فرغ من عمله فى اليوم السادس استراح فى اليوم السابع[3]، ونسوا قوله تعالى : ﴿ أو لم يروا أن الله الذى خلق السموات والأرض ولم يعى بخلقهن بقادر على أن يحيى الموتى ؟ بلى إنه على كل شيء قدير ﴾ (الأحقاف : ٣٣) ﴿ ولقد خلقنا السموات والأرض وما بينهما فى ستة أيام وما مسنا من لغوب ﴾ (ق : ٣٨) .

---

(١) انظر قائمة المراجع آخر المقال ؛ قصة الحضارة جـ ١ ، م ١ ؛ قصة الحضارة جـ ٢ ، م ١ .

(٢) سفر التكوين ، الإصحاح الثالث .

(٣) سفر التكوين ، الإصحاح السادس ونحن هنا ننظر إلى ما يطلق عليها « التوراة » ، على أنها كتاب تاريخ مزيف ، لأنه ليست التوراة المنزلة على موسى عليه السلام النبى المسلم ، إن القارىء لهذه التوراة يدهش كل الدهشة للطفولة الغريرة التى تتضح من الحديث الخرافى عن الله عز وجل ، إن الإله فى هذه السياقات الصبيانية كائن قاصر ، متقلب ، ضعيف . وما من شك أن مؤلف هذه السطور كان سجين تصورات وثنية عن حقيقة الألوهية وما ينبغى لها . وأول ما يستبعده الإنسان حين يقرأ هذه العبارات أن تكون وحيا ، أو شبه وحى . ومع ذلك فإن اليهود والنصارى يقدسون ذلك الكلام ، ويقول أحد

وفى موضع آخر يصف كتبة التوراة ، الله عز وجل بالجهل مع أن الله منزّه عن ذلك ، ﴿ ولقد خلقنا الإنسان ونعلم ما توسوس به نفسه ونحن أقرب إليه من حبل الوريد ﴾ ، (ق : ١٦) — ﴿ وما تكون فى شأن وما تتلوا منه من قرآن ولا تعملون من عمل إلا كنا عليكم شهودا إذ تفيضون فيه ﴾ (يونس : ٦١) .

وزعم كتاب التوراة ، أن الله عز وجل قد قَدِم فى شكل رجل مع اثنين من الملائكة ، على إبراهيم الذى أقام لهم وليمة دسمة فأكلوا منها جميعا [١] وتتجاوز هذه المائدة الدسمة التى أكل منها الرب والملائكة ، إلى قصة أخرى هى أغرب وأفجر ما اختلق الروائيون ، هذه القصة تحكى مصارعة بين الله وعبده يعقوب وهذه المصارعة دامت ليلا طويلا ، وكاد يعقوب يفوز فيها ، لولا أن الطرف الآخر فى المصارعة — وهو الله — لجأ إلى حيلة غير رياضية هزم بعدها يعقوب ومع ذلك فإن يعقوب تشبث بالله وأبى أن يطلق حتى نال منه لقب إسرائيل . ومنحه الله هذا اللقب الفخرى ثم تركه ليصعد إلى العرش ، ويدبر أمر السماء والأرض ، بعد تلك المصارعة الرهيبة [٢]

القساوسة : (الكتاب المقدس — يعنى العهدين معا — هو صوت الجالس على العرش ، كل سفر من أسفاره أو إصحاح من إصحاحاته أو آية من آياته هو حديث نطق به الكائن الأعلى . والمرء لا يسعه إلا أن يستغرق فى الضحك وهو يسمع هذا الكلام ، إنه إله أبله هذا الذى ينزل وحيا يصف فيه نفسه بالجهل والضعف والندم والطيش . ونحن المسلمين نعتقد أن الكتاب النازل على موسى برىء من هذا اللغو ، أما التوراة الحالية فهى من تأليف بشرى سيطرت عليه أمور ثلاثة :

الأول : وصف الله بما لا ينبغى أن يوصف به ، وإسقاط صور ذهنية معتلة على ذاته ، سبحانه وتعالى عما يقولون علوا كبيرا) .

الثانى : إبراز بنى إسرائيل وكأنهم محور العالم وإكسير الحياة ، وغاية الوجود فهم الشعب المختار للسيادة والقيادة لا يجوز أن ينازعوا فيها .

الثالث : تحقير الأمم الأخرى ، وإرخاص حقوقها ، وإلحاق أبشع الأوصاف بها وبأبنائها وقادتها (انظر ، قذائف الحق ، ص ٢١) .

(١) الإصحاح الثامن عشر من سفر التكوين .

(٢) سفر التكوين ، الإصحاح ٣٢

وصدق الله القائل : ﴿ وإن منهم لفريقا يلوون ألسنتهم بالكتاب لتحسبوه من الكتاب وما هو من الكتاب ، ويقولون هو من عند الله ، وما هو من عند الله ، ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون ﴾ (آل عمران : ٧٨ ،

«ولقد حاول أعداء البشرية تشويه سيرة نوح عليه السلام ذلك النبي المعلم والمدافع الأول عن دينه والناجي بأهله من الطوفان ، يزعم أعداء البشرية ، أنه قد سكر من كثرة ما أفرط في شرب الخمر ثم استلقى على الأرض كاشفا سوأته ، وأن أحد أبنائه رآه كذلك فضحك منه وشهّر به . فلما أفاق نوح من سكرته ، وعلم بما وقع ، لم يخجل من نفسه وتبذله ، بل استنزل لعنة الله على من سخر منه »[1] .

«إن تلويث الأنبياء شيء سهل على من هونوا الألوهية نفسها ، ولكن مزور العهد القديم هنا بلغ الإسفاف دركا سحيقا ، فهو لم يكتف بأن جعل لوطا سكيرا بل جعله عاهرا . وبمن يزني ؟ بابنتيه : إحداهما بعد الأخرى ، في ليلتين حمراوين »[2] .

« بل أن تجاهل الرسل ، أمر سهل الترويج له ، فهاهم كتاب التاريخ ينكرون وجود هود وصالح عليهما السلام ، ويعتبرون سيرهم من التاريخ الأسطوري للجزيرة العربية [3] .

وزعموا أن إبراهيم هو آخر أبناء أسرة مالكة كانت تحكم العراق ، وأنه اضطر إلى مغادرة العراق بسبب انتهاء حكم أسرته ، منكرين تماما رسالته ودعوته إلى دين الإسلام [4] .

وزعموا أن إبراهيم عليه السلام « النبي المسلم » هو أصل اليهود وأنه قد ارتاب في وعد ربه الذي وعده أرض فلسطين وأن هذا النبي الكريم كان له من وراء زوجه وذهابها إلى أحد ملوك مصر العماليق غنما وخيرا كثيرا .
ـــ وموين ينفي سيرة إبراهيم من أساسها ويرى أنها بعض الإسرائيليات ابتكرها اليهود ليربطوا بينهم وبين العرب [5] ـــمبادىء أفكار طه حسين .

---

(١) سفر التكوين ٢١ .
(٢) سفر التكوين ، الإصحاح التاسع .
(٣) سفر التكوين ، الإصحاح التاسع عشر .
(٤) محمد مبروك نافع ، شارع العرب عصر ما قبل الإسلام ، ص ٣٠ ، ٣١ ، جورجي زيدان العرب قبل الإسلام ، ص ١٧ ، ٧٢ ، ٧٥ ، ٧٦
(٥) دائرة المعارف الإسلامية ، جـ ١ ، ص ١٤٦ ، مادة إبراهيم

وزعموا أن أخبار إسماعيل وهاجر وإبراهيم مبنية على ما ذكرته التوراة (١) متجاهلين تماما القرآن والسنة ، وزعموا أن هاجر وإسماعيل قد أخرجا إلى برية بئر سبع وأن المسلمين يجهلون المكان الذى أقاما فيه وزعموا أن هاجر قد اكتشفت بئر زمزم أى إنكار معجزة تفجيره بأمر من الله عن قصد مرسوم بضربة من جناح جبرائيل عليه السلام . وزعموا أن المسلمين يقدسون زمزم (٢) وأنها عادة جاهلية وأن كثرة الشرب من مائه تؤذى صاحبه (٣) .

كما زعموا أن المسلمين يسجدون للحجر الأسود وهو صاعقة من السماء لأنه سيكون شاهدا لهم يوم القيامة (٤) ... الخ بل ووصل الافتئات على الله بغير حق أن يقول أحد أبناء المسلمين : للتوراة والقرآن أن يحدثونا عن إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام ولكن لا يعنى ذلك أنهما شخصيتين حقيقيتين (٥) .

وكما افترى كتاب التاريخ على لوط عليه السلام وزعموا أنه كان سكيرا وزنى بابنتيه . افتروا على تاريخ يعقوب « وهو إسرائيل عليه السلام » النبى المسلم وزعموا أنه أصل اليهود وأن ابنته دينه قد ارتكبت جريمة زنا مع شكيم ابن رئيس

---

(١) جورجى زيدان ، العرب قبل الإسلام ، ص ٧٤ : ٧٥ .

(٢) فيليب حتى ، تاريخ العرب المطول ، الجامعة الأمريكية ، ط ٣ ، ١٩٦١ ، ص ١٣٤ .

(٣) محمد مبروك نافع ، تاريخ العرب ، عصر ما قبل الإسلام ، ص ٢٠ .

(٤) ل.أ.ل سيديو ، تاريخ العرب العام ، القاهرة ١٣٨٩ هـ ، ص ٣٠ ، ديورانت ، قصة الحضارة ، جـ ٢ ، م ٤ ، ص ١٨ ، ١٩

(٥) طه حسين فى كتابه « فى الأدب الجاهلى » : (للتوراة أن تحدثنا عن إبراهيم وإسماعيل ، وللقرآن أن يحدثنا عنهما أيضا ؛ ولكن ورود هذين الاسمين فى التوراة والقرآن لا يكفى لإثبات وجودهما التاريخى . فضلا عن إثبات هذه القصة التى تحدثنا بهجرة إسماعيل بن إبراهيم إلى مكة ونشأة العرب المستعربة فيها . ونحن مضطرون إلى أن نرى فى هذه القصة نوعا من الحيلة فى إثبات الصلة بين العرب واليهود من جهة ، وبين الإسلام واليهودية والقرآن والتوراة من جهة أخرى . وزعم طه حسين أن قرابة إبراهيم وإسماعيل (عليهما السلام) للعرب ليست إلا أسطورة لقيت رواجا عند القرشيين لأنها تدعم مركزهم بينهم وبين نجران وصنعاء من منافسة دينية . ثم يقول : (وإذن فليس هناك ما يمنع قريشا أن تقبل الأسطورة التى تفيد أن الكعبة من تأسيس إسماعيل وإبراهيم ، كما قبلت روما من قبل ولأسباب مشابهة ، أسطورة أخرى صنعتها لها اليونان ، تثبت أن روما متصلة بإينياس بن بريام صاحب طروادة) (انظر الاتجاهات الوطنية فى الأدب المعاصر ، دار النهضة العربية ، ط ٣ ، بيروت ١٣٩٢ ، جـ ٢ ، ص ٢٨٩ ، ٢٩٩) .

إحدى المدن المجاورة مما دفع يعقوب إلى قتل أهل هذه المدينة من الذكور وسبى الأطفال والنساء ونهب الثروات .

وحينما عالجوا تاريخ موسى النبى المسلم عليه السلام زعموا أنه كان يهوديا وأنه قتل ثلاثة آلاف من بنى إسرائيل بسبب عبادتهم[1] للعجل .

وزعموا أنَّ موسى ـــ الموحد ـــ قد تأثر بعقائد الفراعنة الملحدين وأنه تزعم ثورة ضد الفرعون وأنه مؤسس دين كغيره من الأنبياء (٢) .

وزعموا أن التشريعات التوراتية التى تلقاها موسى عليه السلام عن ربه ـ مقتبسة من شريعة حمورابى أى أن التوراة غير المحرفة التى أنزلت على موسى ألّفها موسى اعتمادا على الفكر البشرى (٣) .

وحينما عالج أعداء الإسلام ومن عاونهم من أبناء العرب والمسلمين تاريخ النبى المسلم داود عليه السلام زعموا أنه كان يهوديا ، وأنه قد جعل اليهودية دين الدولة الرسمى وأنه كان متآمرا ويجيد الضرب على القيثارة ويرقص وهو نصف عار (٤) .

وزعموا أن سليمان عليه السلام النبى المسلم كان يهوديا وأنه قتل أخاه ليصل إلى العرش ، وقتل كبير الحاخامين حتى لا يقف فى وجهه إذا ما أراد أن يخالف تعاليم الدين . وأنه حاول أن يسير على طريقة فرق تسد فى حكم البلاد وأنه أقام هيكل لإلَهِ يهوه ولعل مكانه تحت المسجد الأقصى ... الخ كما زعموا أنه كان على علاقة غرامية بملكة سبأ (٥) .

وزعموا أن عيسى عليه السلام قد ولد من أم غير عذراء كان لها علاقة

(١) الشرق الخالد ، ص ٣٧٩ .
(٢) الشرق الخالد ، ص ٣٩٨ - ٤٠٠ .
(٣) حضارة مصر والشرق القديم ، ص ٣٦٥ ؛ قصة الحضارة ، جـ ٢ ، م ١ ، ص ٣٣١ ؛ الشرق الخالد ، ص ٣٨٦ .
(٤) توفيق الحكيم ، سليمان الحكيم ؛ الشرق الخالد ، ص ٣٨٧ إلى ٣٩٠ ؛ قصة الحضارة ، جـ ٢ ، م ١ ، ص ٣٣٤ - ٣٣٥
(٥) قصة حضارة جـ ٣ ، م ٣ ، ص ٢١٢ - ٢١٤ .

بيوسف النجار[١]، وزعموا أن عيسى عليه السلام قد دعا إلى دين هو المسيحية يقول بأن الله ثالث ثلاثة كما أنكروا معجزاته كلها . وزعموا وهم يعالجون تاريخ محمد ﷺ أنه مصلح كغيره من بنى البشر واتهموه بالهوس والصرع (٢) .... الخ .

وزعموا أنه قد درس اليهودية والمسيحية والجاهلية وألف منها دينا جديدا هو الإسلام وأن الإسلام بدعة نصرانية (٣) .

وهكذا لم يسلم نبى من أقلام المستشرقين – ومن سار على نهجهم – الظالمة الجائرة والهدف من ذلك واضح كل الوضوح هو تشكيك الناس فى الأنبياء والرسل والدين الذى يدعون إليه مع تجريح عدالتهم وبالتالى التشكيك فى الإسلام كنظام حياة وصد الناس عن سبيل الله ، فلا يعرف الإنسان أن له ربًّا يجب التعبد له دون سواه ولا يعرف أنه قد خلق أصلا للعبادة ، وأنه صاحب دور فى هذه الحياة وعلى سطح هذه الأرض يتمثل فى إبلاغ دعوة الله إلى بنى البشر جميعا ، بشتى الطرق التى حددها الإسلام ، بداية باللسان ، وانتهاء باليد لإزاحة سلطان الطواغيت ليختار الناس دينهم دون عوائق .

وذلك يعنى أن الإنسان ما خلق لغاية سوى غاية الطعام والشراب ، وأنه لا بعث ولا حساب ولا ثواب ولا عقاب .

وفى مقابل ما ذكرنا فإن الذين يعالجون تاريخ هذه الأمة – الذى يمتد إلى بضعة آلاف عام على أنه جزء من تاريخ الأمة الإسلامية . وتُسيطر عليهم الفكرة الإسلامية بأن الله سبحانه وتعالى قد أرسل رسلا معصومين مبشرين ومنذرين رسالتهم إبلاغ كلمة الحق ممثلة فى دعوة الناس إلى الدين الواحد الذى حملوا رايته وهو الإسلام ، سوف يدركون أن الحق كل الحق هو الذى حمله الرسل جميعا ، وأنهم جميعا معصومون وأنهم قد اختيروا من قبل الله عز وجل لبناء صرح الإسلام العظيم كعقيدة : إيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وبالقدر خيره وشره ، وكنظام للحياة الاقتصادية والسياسية والاجتماعية والفكرية .. فإذا استبان

(١) قصة الحضارة ، جـ ١ ، م ، ص
(٢) حضارة العرب ، ص ٢٧ .
(٣) الحضارات السامية القديمة ، ص ٢٠٨

القارىء حقيقة هؤلاء الرسل وحقيقة مهمتهم وتبين له حسن خلقهم وصدقهم تلقى فى ثقة ويقين هذا الإسلام ، واعتنقه وأخضع حياته له دون تردد وساعتئذ يدرك حقيقة دوره فى الوجود فى ظل عبوديته للإله العظيم خالق السموات والأرض .

وهنا نقف قليلا لنستطلع رأى الشرع الإسلامى فى القضايا التالية التى تتعلق بموضوعنا هذا .

أولا : ما حكم الشرع الإسلامى فيمن يتجرأ بقلمه أو بلسانه على ذات الله عز وجل ، وفيمن يتجاهل أو يُجَهِّل بتاريخ الرسل والأنبياء ، ويشوه سيرهم ويجرح فى عدالتهم ، بل ويصورهم كمسلمين استكملوا صفات معينة أهلتهم لادعاء هذا الأمر ؟

ثانيا : ما حكم الشرع فى المناهج والمقررات والمصادر والمراجع التى تتبنى المبدأ السالف الذكر ؟ وتعالج تاريخ الأمم بمعزل عن رسالات الرسل والأنبياء ، لأن القرآن الذى أورد أخبارهم ، ليس من المصادر المعتمدة لديهم ؟

ثالثا : وهل يجوز لدور العلم – وخاصة فى بلاد المسلمين أن تعتمد المناهج والمقررات والمصادر والمراجع التى تعتدى على ذات الله الخالق وعلى حرمة الأنبياء والرسل . بل وتتجاهل تاريخهم ؟ .

وهل يجوز لدور العلم ، أن تستخدم أساتذة يحملون ذلك الفكر المعادى لله وللأنبياء والرسل – لتربية أبناء المسلمين ؟

الجـزء الثانى

(د) المصادر والمراجع :

ولقد حرص معظم الذين كتبوا ويكتبون تاريخ الأنبياء والرسل وتاريخ الأمم منذ أقدم الدهور على استبعاد القرآن الكريم وسنة النبى محمد ﷺ من بين المصادر التى يعتمد عليها [1] ، كما يحرص البعض الآخر على التشكيك فى أية رواية

---

(١) كل ما كتب فى التاريخ القديم إلا القليل، مثال : قصة الحضارة ، موسوعة تاريخ العالم حضارة مصر والشرق القديم ، حضارة مصر الفرعونية ، العرب قبل الإسلام

تاريخية تعتمد على القرآن أو سنة النبى محمد ﷺ (١) ، يحدث ذلك كله فى الوقت الذى يعتمد فيه هؤلاء الكتاب على التوراة والتلمود والتفاسير والشروح العبرانية والإنجيل ، ويجعلونها من مصادرهم المعتمدة (٢) .

ثم ظهر جيل آخر ، وإن ظلوا قلة – يحاول أن يجمع بين الأصول المعتمدة الموثقة ، وبين الأصول المحرفة غير الموثقة ، فتراهم يرصدون من بين مصادرهم القرآن الكريم والسنة النبوية والتوراة والإنجيل (٣) ، جنبا إلى جنب ، وقد أدى بهم ذلك إلى الوقوع فى أخطاء جسيمة سنشير إليها – بإذن الله .

وبالإضافة إلى ما سبق فإن هؤلاء الكتاب ، يعتمدون على مصادر أخرى لا تصمد أمام الجرح والتعديل ولا يعتد بها من الناحية الشرعية . من تلك المصادر :

(١) الآثار المادية والفكرية التى خلفتها الأمم منذ أقدم الدهور . كالآثار التى خلفها الفراعنة ، والآشوريون والكنعانيون والعرب واليونان والروم (٤) ... إلى غير ذلك .

(٢) ما كتبه الرحالة والمشتغلون بالتاريخ ، من اليونان والروم ، من أمثال هيرودوت (٤٠٦ ق.م) وديودور الصقلى (٨٠ ق.م) واسترابون (ت ٢٤ م) وبطليموس الجغرافى (ت ١٤٠ م) .

(٣) كتابات المؤرخين والجغرافيين العرب قبل إخضاعها للجرح والتعديل ، وبعض تفاسير الآيات القرآنية التى تسللت إليها الإسرائيليات ، والأحاديث الضعيفة والموضوعة .

---

(١) تاريخ العرب العام ، ص ٣٠ ، ٣١ ، ٣٢ ، ٤٠ ، ٤١ ، ٤٥ ؛ دائرة معارف القرن العشرين ، م ١ ، ص ٣٤٣ ، ٣٦٠ – ٣٦٢ .

(٢) قصة الحضارة ، الجزء الثانى ، المجلد الرابع ، عصر الإيمان ؛ قصة الحضارة ، جـ ٢ ، م ١ ، ط ٣ ، ص ٣٣٢ ، ٣٣٣ ، ٣٣٤ ، ٣٣٥ ، ٣٤٣ ، ٣٤٤ ، ٣٤٥ ؛ الحضارات السامية القديمة ؛ جورجى زيدان ، العرب قبل الإسلام ، ص ٧٤ ، ٧٥ ؛ نفس المؤلف السابق ، تاريخ التمدن الإسلامى ، ص ٣٢ ، ٣٨ ، الشرق الخالد ، ص ٤١٤ – ٤٣٦ ، حضارة مصر الفرعونية .

(٣) الشرق الخالد ، دراسات تاريخية من القرآن الكريم ؛ بلاد العرب ؛ موسوعة العقاد الإسلامية .

(٤) كل ما كتب فى التاريخ الذى يمتد منذ أقدم الدهور وحتى قبل بعثة محمد ﷺ ، مثل المفصل فى تاريخ العرب قبل الإسلام لجواد على ؛ جـ ١ ؛ عصر ما قبل الإسلام ؛ العرب قبل الإسلام .

(٤) بعض المؤلفات التى نسبت إلى أئمة أعلام حفاظ وهم منها براء .
وقبل ذلك وبعده ، نرى كتابا ، يُلَفِّقُون الأكاذيب ويلقون الاتهامات فى وجه من يؤرخون لهم ، دون وازع من خلق أو ضمير أو دين ، ودون ذكر لمصدر موثق أو غير موثق .

وهنا قد يعرض لنا سؤال : لماذا لا نعتمد التوراة والتلمود والتفاسير والشروح العبرانية والإنجيل كمصادر للتأريخ ؟؟ .

والإجابة تستلزم منا أن نطرح السؤالين التاليين .

السؤال الأول : من الذى كتب التوراة والإنجيل الحاليين ؟؟ والإجابة : اليهود والنصارى ، أى أن التوراة والإنجيل الحاليين من تأليف اليهود والنصارى ، أى أنها مزيفة ، أى أنها ليست أصلية . والدليل على ما نقول تقدمه لنا أدلة نقلية ، أولاها حديث عن رسول الله محمد ﷺ : « إن أهل الكتاب بدّلوا كتاب الله وغيروه وكتبوا بأيديهم الكتاب وقالوا هو من عند الله ليشتروا به ثمنا قليلا » [١] .

وثانيها ما ورد فى كتب التاريخ من أن صحائف التوراة قد أحرقت نسخها الأصلية على أيدى البابليين منذ عام ٥٨٦ ق . م ولم يتم إعادة كتابتها إلا بعد قرون عديدة قبيل ميلاد المسيح ويقال أن الذى كتبها هو عزرا ، وجمع فيها بقايا من التوراة أما سائرها فهو مجرد تأليف ، وفى ذلك يقول أحد المستشرقين ، وهو موسكاتى [٢] : « ولكن هناك مشاكل مختلفة تتعلق بمصادر أسفار العهد القديم وزمن وضعها وطريقة تصنيفها ، ولا سيما الأسفار الخمسة الأول أو التوراة » . أما الأناجيل فقد قيل عنها أنها جميعا لا تحوى إلا ما حفظته ذاكرة تلامذة المسيح وتلامذتهم بعد نحو قرن من وفاة المسيح عليه السلام – ثم خلطت به حكايات كثيرة وأساطير [٣] ومن ثم لا يجوز أن يطلب عند تلك الكتب جميعها يقين فى أمر

(١) صحيح البخارى ، جـ ٩ ، ص ١٣٦ .

(٢) الحضارات السامية القديمة ، ص ١٣٩ ، قصة الحضارة جـ ٢ ، م ١ ، يقول الكاتب بالنص : كيف كتبت هذه الأسفار ؟ ومتى كتبت ؟ وأين كتبت ؟ ذلك سؤال برىء ولكنه سؤال كتب فيه خمسون ألف مجلد ، ويجب أن نفرغ منه هنا فى فقرة واحدة نتركه بعدها من غير حوار ص ٣٦٧ .

(٣) إن بنى اسرائيل كتبوا كتابا واتبعوه ، وتركوا التوراة ، حديث صحيح رواه الطبرانى فى الكبير ، انظر صحيح الجامع الصغير وزيادته ، تأليف محمد ناصر الدين الألبانى ، مجلد الثانى ، ص : ١٩١ ، حديث رقم ٢٠٤٠ – ٨٩٨ .

واحد . وبالإضافة إلى ما سبق فإن التوراة والإنجيل تحوى أوصافا لله تبارك وتعالى تعارض ما جاء عنه سبحانه وتعالى فى العقيدة الإسلامية فالتوراة تصور الله بكل القبائح التى تنسب إلى البشرية ، بأنه : يتعب ، ويجهل ويندم ، ويصارع كما أن الإنجيل قد صورته ثالث ثلاثة . كما وصفت نوحا بأنه سكير ، ولوطا بالزنى ، وإبراهيم بأنه ديوث ويعقوب بأنه محتال ، وحاشا لله ولرسله الكرام أن يكونوا كذلك . كما عرضنا سابقا (ص ٥٧). فهل يجوز بعد أن تبين لنا ذلك أن نعتمد التوراة والإنجيل كمصادر للتاريخ ؟؟ أو نعتمد على مراجع تاريخية تعتمد على هذه المصادر ؟

وحينما نرفض الاعتماد على التوراة والإنجيل ونرفض الوثوق فى المراجع التى تعتمد عليها فى التاريخ فنحن فى ذلك متبعين ولسنا مبتدعين

فالجيل الأول من المسلمين كان يستقى من القرآن وحده ، فما كان حديث رسول الله – ﷺ – وهديه إلا أثرا من آثار ذلك النبع . فعندما سئلت عائشة – رضى الله عنها – عن خلق رسول الله ﷺ – قالت : « كان خلقه القرآن » . (أخرجه النسائى) .

كان القرآن وحده إذن هو النبع الذى يستقون منه ويتكيفون به . ويتخرجون عليه ، ولم يكن ذلك كذلك لأنه لم يكن للبشرية يومها مدنية ولا ثقافة ، ولا علم ، ولا مؤلفات ولا دراسات ، كلا فقد كانت هناك مدنية الرومان وثقافتها وكتبها وقانونها الذى ما تزال أوربا تعيش عليه . أو على امتداده . وكانت هناك مخلفات المدنية الإغريقية ومنطقها وفلسفتها وفنها ، وهو ما يزال ينبوع التفكير الغربى حتى اليوم . وكانت هناك مدنية الفرس وفنها وشعرها وأساطيرها وعقائدها ونظم حكمها كذلك ، ومدنيات أخرى قاصية ودانية ، مدنية الهند مدنية الصين .. الخ .

وكانت المدنيتان الرومانية والفارسية تحفان بالجزيرة العربية من شمالها ومن جنوبها ، كما كانت اليهودية والنصرانية تعيشان فى قلب الجزيرة ... فلم يكن إذن عن فقر فى المدنيات العالمية والثقافات العالمية يقتصر ذلك الجيل على كتاب الله

وحده .. فى فترة تكوينه .. وإنما كان ذلك عن تصميم مرسوم ، ونهج مقصود ، يدل على هذا القصد غضب رسول الله ﷺ وقد رأى فى يد عمر بن الخطاب — رضى الله عنه — صحيفة من التوراة وقوله : « إنه والله لو كان موسى حيا بين أظهركم ما حل له إلا أن يتبعنى » .

كان رسول الله ﷺ ، يريد صنع جيل خالص القلب ، خالص العقل ، خالص التصور ، خالص الشعور ، خالص التكوين من أى مؤثر آخر غير المنهج الإلهى الذى يتضمنه القرآن الكريم .

ذلك الجيل استسقى إذن من ذلك النبع وحده (القرآن) . فكان له فى التاريخ ذلك الشأن الفريد ... ثم ما الذى حدث ؛ اختلطت الينابيع صبت فى النبع الذى استقت منه الأجيال التالية ، فلسفة الإغريق ومنطقهم وأساطير الفرس وتصوراتهم ، وإسرائيليات اليهود ولا هوتُ النصارى وغير ذلك من رواسب المدنية والثقافات واختلط هذا كله ببعض تفاسير القرآن الكريم ، وعلم الكلام ، كما اختلط بالفقه والأصول أيضا . وتخرج على ذلك النبع المشوب سائر الأجيال بعد ذلك الجيل ، فلم يتكرر ذلك الجيل أبدا .

وما من شك فى أن اختلاط النبع الأول كان عاملا أساسيا من عوامل ذلك الاختلاف البين بين الأجيال كلها وذلك الجيل المميز الفريد . وذلك يستلزم من الأمة المسلمة أن تعود مرة أخرى ، ببرامجها ونظم حياتها وتعليمها إلى ذلك النبع الصافى إن أرادت بناء أجيال تتأسى بذلك الجيل الأول من صحابة رسول الله ﷺ (١) .

السؤال الثانى : هل يجوز لمسلم يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله أن يتلقى عن اليهود أو النصارى فيما يتصل بتفسير بواعث النشاط الإنسانى وبحركة التاريخ الإنسانى ، وفيما يختص بالخلق والسلوك والقيم والموازين أو يختص بالمبادىء والأصول فى النظام السياسى أو الاجتماعى ؟؟ .

والإجابة يقدمها لنا أحد المفكرين الإسلاميين اعتمادا على الكتاب والسنة .

---

(١) معالم فى الطريق .

« إن لا إله إلا الله ليس لها إلا مدلول الحاكمية العليا فى حياة البشر [1] ، كما أن له الحاكمية العليا فى نظام الكون سواء . فهو المتحكم فى الكون والعباد بقضائه وقدره . وهو المتحكم فى حياة العباد بمنهجه وشريعته .. وبناء على هذه القاعدة لا يعتقد المسلم أن لله شريكا فى خلق الكون وتدبيره وتصريفه ، ولا يتقدم المسلم بالشعائر التعبدية إلا لله وحده ، ولا يتلقى الشرائع والقوانين ، والقيم والموازين ، والعقائد والتصورات إلا من الله ، ولا يسمح لطاغوت من العبيد أن يدعى حق الحاكمية فى شىء من هذا كله مع الله .

إن شريعة الله تعنى كل ما شرعه لتنظيم الحياة البشرية وهذا يتمثل فى أصول الاعتقاد وأصول الحكم وأصول الأخلاق وأصول السلوك وأصول المعرفة أيضا .

إن المسلم لا يملك أن يتلقى فى أمر يختص بحقائق العقيدة أو التصور العام للوجود أو يختص بالعبادة أو يختص بالخلق والسلوك والقيم والموازين أو يختص بالمبادىء والأصول فى النظام السياسى أو الاجتماعى أو الاقتصادى أو يختص بتفسير بواعث النشاط الإنسانى وبحركة التاريخ الإنسانى إلا من ذلك المصدر الربانى ولا يتلقى فى هذا كله إلا عن مسلم يثق فى دينه وتقواه ومزاولته لعقيدته فى واقع الحياة . ولكن المسلم يملك أن يتلقى فى العلوم البحتة كالكيمياء والطبيعة والأحياء والفلك والطب والصناعة والزراعة وطرق الإدارة — من الناحية الفنية والإدارية البحتة . وطرق العمل الفنية وطرق الحرب والقتال — من الجانب الفنى — إلى آخر ما يشبه هذا النشاط .. يملك أن يتلقى فى هذا لتوفير هذه الكفايات فى هذه الحقول كلها باعتبارها فروض كفاية يجب أن يتخصص فيها أفراد منه وإلا أثم المجتمع كله إذا لم يوفر هذه الكفايات ولم يوفر لها الجو الذى تتكون فيه وتعمل وتنتج ، ولكن إلى أن يتحقق هذا فإن للفرد المسلم أن يتلقى فى هذه العلوم البحتة وتطبيقاتها العملية عن المسلم وغير المسلم وأن ينتفع فيها بجهد المسلم وغير المسلم ، وأن يشغل فيها المسلم وغير المسلم .. لأنها من الأمور

---

(١) الإسلام ، ص ٦٠ .

الداخلة فى قول رسول الله ﷺ « أنتم أعلم بأمور دنياكم » .. وهى لا تتعلق بتكوين تصور المسلم عن الحياة والكون والإنسان وغاية وجوده وحقيقة وظيفته ونوع ارتباطاته بالوجود من حوله وبخالق الوجود كله ولا بالمبادىء والشرائع والأنظمة والأوضاع التى تنظم حياته أفرادا وجماعات ، ولا تتعلق بالأخلاق والآداب والتقاليد والعادات والقيم والموازين التى تسود مجتمعه وتؤلف ملامح هذا المجتمع ومن ثم فلا خطر فيها من زيغ عقيدته أو ارتداده إلى الجاهلية .

فأما ما يتعلق بتفسير النشاط الإنسانى كله أفرادا أو مجتمعات — وهو المتعلق بالنظرة إلى نفس الإنسان وإلى حركة تاريخه وما يختص بتفسير نشأة هذا الكون ونشأة الحياة ونشأة هذا الإنسان ذاته من ناحية ما وراء الطبيعة — (وهو ما لا يتعلق به العلوم البحتة من كيمياء وطبيعة وفلك وطب .. الخ) فالشأن فيه شأن الشرائع القانونية والمبادىء والأصول التى تنظم حياته ونشاطه مرتبطة بالعقيدة ارتباطا مباشرا فلا يجوز للمسلم أن يتلقى فيه إلا عن مسلم يثق فى دينه وتقواه ويعلم عنه أنه يتلقى فى هذا كله عن الله .. والمهم أن يرتبط هذا فى حس المسلم بعقيدته وأن يعلم أن هذا مقتضى عبوديته لله وحده . أو مقتضى شهادته أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله .

أنه يطلع على كل آثار النشاط الجاهلى . ولكن لا ليكون منه تصوره ومعرفته فى هذه الشئون كلها . إنما ليعرف كيف تنحرف الجاهلية وليعرف كيف يصحح ويقوم هذه الانحرافات البشرية ، بردها إلى أصولها الصحيحة فى مقومات التصور الإسلامى وحقائق العقيدة الإسلامية .

إن اتجاهات الفلسفة بجملتها ، واتجاهات « تفسير التاريخ الإنسانى » بجملتها ، واتجاهات علم النفس بجملتها ، — عدا الملاحظات والمشاهدات دون التفسيرات العامة لها — ومباحث الأخلاق بجملتها ، واتجاهات دراسة « الأديان المقارنة » بجملتها ، واتجاهات التفسيرات والمذاهب الاجتماعية بجملتها ، — فيما عدا المشاهدات والإحصاءات والمعلومات المباشرة ، لا النتائج المستخلصة منها ولا التوجيهات الكلية الناشئة عنها — إن هذه الاتجاهات كلها هى الفكر الجاهلى — أى غير إسلامى — قديما وحديثا ، يتأثر تأثيرا مباشرا بتصورات اعتقادية جاهلية ،

وقائمة على هذه التصورات ، ومعظمها (إن لم يكن كلها) يتضمن فى أصوله المنهجية عداءً ظاهرا أو خفيا للتصور الدينى جملة والتصور الإسلامى على وجه خاص .

إن حكاية أن الثقافة ، تراث إنسانى .. لا وطن له ولا جنس ولا دين .. هى حكاية صحيحة عندما تتعلق بالعلوم البحتة وتطبيقاتها العلمية — دون أن تجاوز هذه المنطقة إلى التفسيرات الفلسفية « الميتافيزيقية » لنتائج هذه العلوم ولا إلى التفسيرات الفلسفية لنفس الإنسان ونشاطه وتاريخه ، ولا إلى الفن والأدب والتغييرات الشعورية جميعا ، وكلها ، فيما وراء ذلك ، إحدى مصايد اليهود العالمية التى يهمها تمييع الحواجز كلها — بما فى ذلك بل فى أول ذلك حواجز العقيدة والتصور — لكى ينفذ اليهود إلى جسم العالم كله . وهو شرخ مخدر يزاول اليهود فيه نشاطهم الشيطانى . وفى أوله نشاطهم التربوى الذى ينتهى إلى جعل حصيلة كد البشرية كلها تؤول إلى أصحاب المؤسسات المالية الربوية من اليهود .

ولكن الإسلام يعتبر أن هناك — فيما وراء العلوم البحتة وتطبيقاتها العلمية نوعين اثنين من الثقافة : الثقافة الإسلامية القائمة على قواعد التصور الإسلامى والثقافة الجاهلية القائمة على مناهج شتى ترجع كلها إلى قاعدة واحدة .. قاعدة إقامة الفكر البشرى إلها لا يرجع إلى الله فى ميزانه .. والثقافة الإسلامية شاملة لكل حقول النشاط الفكرى والواقعى الإنسانى ، وفيها من القواعد والمناهج والخصائص ما يكفل نمو هذا النشاط وحيويته دائما .

ويكفى أن نعلم أن الاتجاه التجريبى الذى قامت عليه الحضارة الصناعية الأوربية الحاضرة لم ينشأ ابتداء فى أوربا وإنما نشأ فى الجامعات الإسلامية فى الأندلس والمشرق مستمدا أصوله من التصور الإسلامى وتوجيهاته إلى الكون وطبيعته الواقعية ومدخراته وأقواته .. ثم استقلت النهضة العلمية فى أوربا بهذا المنهج واستمرت تنميه وترقيه . بينما ركد وترك نهائيا فى العالم الإسلامى بسبب بعد هذا العالم تدريجيا عن الإسلام بفعل عوامل بعضها كامن فى تركيب المجتمع وبعضها يتمثل فى الهجوم عليه من العالم الصليبى والصهيونى . ثم قطعت أوربا

ما بين المنهج الذى اقتبسته وبين أصوله الاعتقادية الإسلامية وشردت به نهائيا بعيدا عن الله فى أثناء شرودها عن الكنيسة التى كانت تستطيل على الناس – بغيا وعدوانا باسم الله ..

وكذلك أصبح نتاج الفكر الأوربى بجملته – شأنه شأن نتاج الفكر الجاهلى فى جميع الأزمان فى جميع البقاع – شيئا آخر ذا طبيعة مختلفة من أساسها عن مقومات التصور الإسلامى . ومعاديا فى الوقت ذاته عداءً أصيلا للتصور الإسلامى .. ووجب على المسلم أن يرجع إلى مقومات تصوره وحدها وألّا يأخذ إلا من المصدر الربانى إن استطاع بنفسه وإلا فلا يأخذ إلا عن مسلم تقى يعلم عن دينه وتقواه ما يطمئنه إلى الأخذ عنه .

إن حكاية فصل العلم عن « صاحب العلم » لا يعرفها الإسلام فيما يختص بكل العلوم المتعلقة بمفهومات العقيدة المؤثرة فى نظرة الإنسان إلى الوجود والحياة والنشاط الإنسانى والأوضاع والقيم والأخلاق والعادات وسائر ما يتعلق بنفس الإنسان ونشاطه من هذه النواحى .

إن الإسلام يتسامح فى أن يتلقى المسلم عن غير المسلم أو عن غير التقى من المسلمين فى علم الكيمياء البحتة أو الطبيعية أو الفلك أو الطب أو الصناعة أو الزراعة أو الأعمال الإدارية والكتابية .. وأمثالها . وذلك فى الحالات التى لا يجد فيها مسلما تقيا يأخذ عنه فى هذ كله (كما هو واقع من يسمون أنفسهم المسلمين اليوم . الناشيء من بعدهم عن دينهم ومنهجهم . وعن التصور الإسلامى لمقتضيات الخلافة فى الأرض (باذن الله) وما يلزم لهذه الخلافة) من هذه العلوم والخبرات والمهارات المختلفة . ولكنه لا يتسامح فى أن يتلقى أصول عقيدته ولا مقومات تصوره . ولا تفسير قرآنه وسيرة نبيه ولا منهج تاريخه وتفسير نشاطه ولا مذهب مجتمعه . ولا نظام حكمه . ولا منهج سعادته ولا موحيات فنه وأدبه وتعبيره ... الخ من مصادر غير إسلامية . ولا أن يتلقى عن غير مُسْلِم يثق فى دينه وتقواه .

إن ذلك الحكم ليس رأيا شخصيا ، لأنه أكبر من أن يفتى فيه بالرأى .. إنه أثقل فى ميزان الله من أن يعتمد المسلم فيه على رأيه إنما هو قول الله سبحانه –

(وقول نبيه ﷺ) .. نحكمه فى هذا الشأن ونرجع فيه إلى الله والرسول كما يرجع الذين آمنوا إلى الله والرسول فيما يختلفون فيه يقول الله سبحانه وتعالى عن الهدف النهائى لليهود والنصارى فى شأن المسلمين بصفة عامة :

﴿ وَدَّ كثير من أهل الكتاب لو يردونكم من بعد إيمانكم كفارا حسدا من عند أنفسهم من بعد ما تبين لهم الحق فاعفوا واصفحوا حتى يأتى الله بأمره إن الله على كل شىء قدير ﴾ (1) .

﴿ ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم قل إن هدى الله هو الهدى ولئن اتبعت أهواءهم بعد الذى جاءك من العلم مالك من الله من ولى ولا نصير ﴾ (2) .

﴿ ولا يزالون يقاتلونكم حتى يردوكم عن دينكم إن استطاعوا ﴾ (3) .

﴿ يأيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء بعضهم أولياء بعض ومن يتولهم منكم فإنه منهم ، إن الله لا يهدى القوم الظالمين ﴾ (4) .

﴿ يأيها الذين آمنوا لا تتخذوا الذين اتخذوا دينكم هزوا ولعبا من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم والكفار أولياء ، واتقوا الله إن كنتم مؤمنين ﴾ (5) .

﴿ يأيها الذين آمنوا إن تطيعوا فريقا من الذين أوتوا الكتاب يردوكم بعد إيمانكم كافرين ﴾ (6) .

﴿ لا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء من دون المؤمنين ومن يفعل ذلك فليس من الله فى شىء إلا أن تتقوا منهم تقاة ويحذركم الله نفسه وإلى الله المصير ﴾ (7) .

---

(1) البقرة ١٠٩ .
(2) البقرة ١٢٠ .
(3) البقرة :٢١٧ .
(4) المائدة ٥١ .
(5) المائدة ٥٧ .
(6) آل عمران ١٠٠ .
(7) آل عمران : ٢٨ .

﴿ ولا تؤمنوا إلا لمن تبع دينكم قل إن الهدى هدى الله أن يؤتى أحد مثل ما أوتيتم أو يحاجوكم عند ربكم قل إن الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم ﴾ (١) .

وحين يتحدد الهدف النهائى لليهود والنصارى والمشركين فى شأن المسلمين على ذلك النحو القاطع الذى يقرره الله سبحانه يكون من البلاهة الظن لحظة بأنهم يصدرون عن نية طيبة فى أى مبحث من المباحث المتعلقة بالعقيدة الإسلامية أو التاريخ الإسلامى أو التوجيه فى نظام المجتمع المسلم أو فى سياسته أو اقتصاده أو يقصدون إلى خير أو إلى هدى أو إلى نور .. والذين يظنون ذلك فيما عند هؤلاء الناس — بعد تقرير الله سبحانه — إنما هم الغافلون .

كذلك يتحدد فى قول الله سبحانه : ﴿ قل إن هدى الله هو الهدى ﴾ المصدر الوحيد الذى يجب على المسلم الرجوع إليه فى هذه الشئون . فليس وراء هدى الله إلا الضلال وليس فى غيره هدى .

كذلك يتحدد الأمر القاطع بالإعراض عمن يتولى عن ذكر الله بقصر اهتمامه على شئون الحياة الدنيا . وينص على أن مثل هذا لا يعلم إلا ظنا والمسلم منهى عن اتباع الظن . وأنه لا يعلم إلا ظاهرا من الحياة الدنيا فهو لا يعلم علما صحيحا ﴿ فأعرض عن من تولى عن ذكرنا ولم يرد إلا الحياة الدنيا ، ذلك مبلغهم من العلم ، إن ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله . وهو أعلم بمن اهتدى﴾ . ﴿ يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة غافلون ﴾ .

كما أورد البخارى الحديثين التاليين فى باب قول النبى ﷺ : « لا تسألوا أهل الكتاب عن شى » :

(١) حدثنى محمد بن بشار حدثنا عثمان بن عمر أخبرنا على بن المبارك عن يحيى ابن أبى كثير عن أبى سلمة عن أبى هريرة قال :

« كان أهل الكتاب يَقْرَؤُنَ التوراة بالعبرانية ويفسرونها بالعربية لأهل

---

(١) آل عمران : ٧٣ .

الإسلام . فقال رسول الله ﷺ : « لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم » ﴿ قولوا آمنا بالله وماأنزل إلينا وما أنزل إلى إبراهيم وإسماعيل ﴾ الآية .

(٢) «حدثنا موسى بن إسماعيل حدثنا إبراهيم أخبرنا ابن شهاب عن عبيد الله أن ابن عباس رضى الله عنهما قال كيف تسألون أهل الكتاب عن شيء وكتابكم الذى أنزل على رسول الله ﷺ أحدث تقرءونه محضا لم يشب وقد حدثكم أن أهل الكتاب بدلوا كتاب الله وغيروه وكتبوا بأيديهم الكتاب وقالوا هو من عند الله ليشتروا به ثمنا قليلا ، ألا ينهاكم ما جاءكم من العلم عن مسألتهم ، لا والله ما رأينا منهم رجلا يسألكم عن الذى أنزل عليكم »(١) .

وظاهر الحديث النبوى الشريف يؤكد :

(أ) أن أهل الكتاب بدلوا كتاب الله « التوراة والإنجيل » وغيروه وكتبوا بأيديهم الكتاب وقالوا هو من عند الله ليشتروا به ثمنا قليلا .

(ب) النهى عن مسألتهم .

(جـ) الاستغناء بما بين أيدى المسلمين من الكتاب والحكمة والعلم عن مسألة أهل الكتاب .

(د) أن أهل الكتاب ما سألوا المسلمين عن شيء فى كتابهم أى القرآن الكريم .

كما أخرج الإمام أحمد وابن أبى شيبة والبزار من حديث جابر . أن عمر أتى النبى ﷺ بكتاب أصابه من بعض أهل الكتاب ، فقرأه عليه فغضب وقال : « لقد جئتكم بها بيضاء نقية ألا لاتسألوهم عن شيء فيخبروكم بحق فتكذبوا به أو باطل فتصدقوا به ، والذى نفسى بيده لو أن موسى كان حيا ما وسعه إلا أن يتبعنى » (٢) .

---

(١) صحيح ابن عبد الله البخارى ، جـ ٩ ، ص ١٣٦ ؛ المعجم المفهرس ، جـ ٢ ، ص ٣٨١ .

(٢) فتح البارى ، جـ ١٣ ، ص ٣٣٤ . وروى الإمام أحمد بإسناد صحيح عن أبى موسى الأشعرى – رضى الله عنه – : (قلت لعمر بن الخطاب – رضى الله عنه – : إن لى كاتبا نصرانيا . قال : مالك ؟ قاتلك الله . أما سمعت الله يقول – ﴿ يأيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء ، بعضهم

وإذا كان ذلك واجبا فيما يتصل بالتوراة والإنجيل ، فما هو موقفنا من المصادر الأخرى ؟ .

فيما يتصل بالمعلومات المستمدة من الآثار فهى فى حاجة إلى كثير من التحليل والتدقيق قبل الاعتماد عليها أو اتخاذ ما جاء فيها كحقيقة تاريخية لأن فيها من الأمور التى لا يمكن الاعتماد عليها كوقائع ثابتة لأنها كتبت لغرض معين وفى وقت معين . وغالبا للإعلاء من شأن صاحبها . كما أنها فى معظمها آثار وثنية ، أقامتها أنظمة جاهلية غير مسلمة ، كآثار الفراعنة والآشوريين والبابليين والآثار العربية واليونانية والرومية .

أما المعلومات المستقاة من المصادر الأجنبية فإنها بدورها تمثل وجهة نظر معينة وخاصة إذا كان ذلك تسجيلا لنتائج معارك حربية على آثار أقامها أولئك الملوك . فمثل هذه النقوش سواء فى مصر أو فى العراق أو فى الشام أو فى غيرها تقام للإعلاء من شأن الملك فتخفى الهزائم وتحيلها إلى نصر وتبالغ فى نصر ضئيل فتجعل منه عملا عظيما جبارا .

وفى النهاية يمكن القول بأن الآثار تبقى بعد ذلك كله شاهدا لا يقبل الشك على وجود الأمم السابقة التى تحدث القرآن عنها .

أما ما كتبه رحالة اليونان والروم فيجب ألا نثق فيه الثقة كلها لأن الغالبية العظمى من هؤلاء لم يعرفوا لغة أهل البلاد ونقلوا ما سمعوه من أفواه محدثيهم وبعضهم من صغار الكهنة أو عامة الناس الذين يقبلون على مرافقة الزوار الأجانب كمحترفين أو متطوعين ، كما أن هؤلاء الكتاب حكموا على ما رأوه أو سمعوه من وجهة نظرهم هم ، وحسب عقليتهم وإدراكهم وتأثرهم بعادات بلادهم وديانتها . كما أن كتاباتهم تمثل وجهة النظر اليونانية والرومية فى وقت اختلفت فيه مصالح بلادهم مع مصالح البلاد التى زاروها . كما أن كتاب اليونان والروم غير مسلمين ، والمسلم لا يجوز له أن يتلقى عن غير المسلم فيما يتصل بتاريخ الإسلام وتاريخ الأمة الإسلامية .

أولياء بعض ﴾ ألا اتخذت حنيفا ؟ قال قلت : يا أمير المؤمنين لى كتابته وله دينه . قال : لا أكرمهم إذ أهانهم الله ، ولا أعزهم إذ أذلهم الله ولا أدنيهم إذ أقصاهم الله .

الجزء الثالث

نماذج للمعالجة الاستشراقية – التى يتبنّاها الكثير من أبناء العرب والمسلمين – لبعض أحداث التاريخ الإسلامى :

(أ) تاريخ الدولة السبئية[1] :

حينما عالج المستشرقون ومن سار على نهجهم تاريخ الدولة السبئية ، عالجوه على أساس أنه تاريخ وثنى جاهلى محض ، لا أثر فيه للإسلام ، وحينما كتبوا تاريخ ملكتها – بلقيس – زعموا أنها كانت على علاقة غرامية بنبى الله سليمان عليه السلام [2] وأنها قد سافرت من عاصمتها مأرب إلى بيت المقدس على عهد سليمان لترى أبهة بلاط ابن داود عليه السلام . وحينما كتب هؤلاء الكتاب ، أسباب انهيار الحضارة السبئية والدولة السبئية وتفرق العرب فى الجزيرة العربية ، زعموا أن أسباب انهيار سد مأرب هو عدم الاهتمام بصيانته لعدم وجود الإمكانيات المادية ، أى جعلوا أسباب انهيار سد مأرب أسبابا اقتصادية وسياسية محضة . وزعم البعض الآخر أن قصة انهياره بسبب سيل العرم أسطورة وخرافة ، أما الكاتب المسلم فله فى تاريخ الدولة السبئية ، رأى يعتمد فيه على المصادر الإسلامية الموثقة ، هذه المصادر تثبت أن دولة سبأ التى كانت تعاصر دولة سليمان عليه السلام قد أسلمت لله الواحد القهار على عهد ملكتها ، وأن ملكة سبأ قد تلقت رسالة من سليمان يدعوها إلى الإسلام ﴿ إنه من سليمان وإنه بسم الله الرحمن الرحيم ، ألا تعلوا علىّ وأتونى مسلمين ﴾ ، وأن سبب سفر ملكة سبأ

---

(١) دولة سبأ قامت جنوب الجزيرة العربية فى الفترة من (٩٥٠ ق.م – ١١٥ م) ؟ وكانت تعاصر دولة سليمان عليه السلام فى بلاد الشام .

(٢) تاريخ العرب العام ، ص ٣٢ ، ٤٠ ، قصة الحضارة ، جـ ٢ ، م ١ ، ص ٣٣٣ ، تاريخ العرب المطول ، ص ٨٦ ؛ العرب قبل الإسلام ، ص ١٤٠ ؛ تاريخ الإسلام السياسى ، ص ٢٧ – ٢٨ ، توفيق الحكيم ، سليمان الحكيم .

إلى بيت المقدس هو : ﴿ وأسلمت مع سليمان لله رب العالمين ﴾ .

ثم قامت دولة سبئية دينها الإسلام فى جنوب الجزيرة العربية بفضل الله عز وجل ، الذى أوجب على الدولة شكر المنعم .

ولكن الشيطان نجح فى اجتيال أهل سبأ من المسلمين عن دينهم ، فسلط الله عليهم سيل العرم الذى دمر السد عقابا للقوم على كفرهم بالله عز وجل : وفى هذا يقول الله سبحانه وتعالى : ﴿ لقد كان لسبأ فى مسكنهم آية جنّتان عن يمين وشمال ، كلوا من رزق ربّكم واشكروا له بلدة طيبة ورب غفور . فأعرضوا فأرسلنا عليهم سيل العرم وبدّلناهم بجنّتيهم جنتين ذواتى أكل خمط وأثل وشيء من سدر قليل . ذلك جزيناهم بما كفروا وهل نجازى إلا الكفور ﴾ .

(ب) تاريخ مصر منذ أقدم الدهور :

وحينما عالج المستشرقون ومن سار على نهجهم تاريخ مصر منذ أقدم الدهور عالجوه على أساس أنه تاريخ وثنى جاهلى محض لا أثر فيه لرسالات السماء ، وعالجوه على أساس أنه تاريخ العصور الحجرية ، والإنسان البدائى الذى كان يعيش على شاكلة الحيوان ، بل أنه أدنى من الحيوان فالحيوان (كان) أسوته وقدوته وملهمه (١) .

وحينما عالجوا تاريخ أسرات الفراعنة التى حكمت مصر ، رفعوا من شأنهم وقدرهم ، بل ورفعوهم إلى مصاف الإله العظيم ، وتجاهلوا شركهم وتجاهلوا انحرافاتهم وأسقطوا رسالتى يوسف وموسى عليهما السلام إلى شعب مصر (٢) .

وحينما وصلوا إلى استعراض تاريخ أخناتون (أمنحتب الرابع) وهو أحد فراعنة مصر فى القرن الرابع عشر ق . م زعموا أنه أول موحد فى التاريخ (رغم أنه كان يعبد القوة الكامنة وراء قرص الشمس آتون)

---

(١) ديانة مصر القديمة ، ص ٤ ؛ مصر والحياة المصرية فى العصور القديمة ؛ مصر .

(٢) حضارة مصر الفرعونية؛ الحضارة المصرية ؛ مصر القديمة ، تاريخ الشرق الأدنى القديم .

وزعموا أن هذه الفكرة نبتت فى مصر وانتقلته إلى العراق حيث أقام إبراهيم عليه السلام، كما يزعمون ، أى إبراهيم عليه السلام قد أخذ فكرة التوحيد عن أخناتون .

وحينما حاولوا معالجة تاريخ العقيدة فى مصر ، زعموا أن المصريين القدماء آمنوا بالتوحيد وآمنوا بالبعث والحساب ، ولكن ذلك لم يكن نتيجة رسول أرسل فيهم أو رسالة سماوية وصلتهم أخبارها ، ولكنها كانت من اختراع العقل البشرى ، « دعوة كهان أو ملوك » ، أى أن الدين من اختراع العقل البشرى[1]. وسنرد على ذلك تفصيلا فى رسالة قادمة إن شاء الله ، حيث نتبين :

أن تاريخ مصر منذ أقدم الدهور لم يكن تاريخا وثنيا جاهليا محضا ، ولكن شعب مصر كغيره من الشعوب كان مفطورا على الإسلام ، وفيه بعث رسل دَعْوةُ إلى الإسلام أمثال يوسف وموسى عليهما السلام وسوف ندرك أن الدين من عند الله ، وهو الإسلام ، وليس من اختراع أخناتون أو العقل البشرى .

وسوف نتبين أيضا أن الفراعنة كانوا كفارا وكانوا طغاة ، وأن منهم من ادعى الألوهية والربوبية . ﴿ فحشر فنادى فقال أنا ربكم الأعلى ﴾ — ﴿ ما علمت لكم من إله غيرى ﴾ ؛ ﴿ أليس لى ملك مصر وهذه الأنهار تجرى من تحتى ﴾ .

تاريخ الجزيرة العربية منذ أقدم الدهور :

إن الذين عالجوا تاريخ الجزيرة العربية منذ أقدم الدهور وإلى ما قبل بعثة محمد ﷺ عالجوه على أساس أنه تاريخ جاهلى وثنى محض لا أثر فيه لرسالات سماوية ، وأطلقوا عليه تاريخ الجاهلية أو تاريخ العرب قبل الإسلام .

وإطلاق المشتغلين بالتاريخ « عرب قبل الإسلام » ، « عرب الجاهلية » على هذه الحقبة التاريخية يترتب عليه وقوع أخطاء فادحة فى تدوين أحداث تاريخ الإسلام . من هذه الأخطاء :

---

(١) الشرق الخالد ص ب ، ص ٤٠٣ — ٤١٠ — ٤١٤ ، يقول الكاتب بالنص : « ويعد اخناتون أول نبى من الأنبياء الوجدانية » .

(أ) تجاهل بضعة آلاف من السنين من عمر التاريخ الإسلامى .

(ب) تجاهل البداية الحقيقة لتاريخ الإسلام كدين ، وتاريخ الأمة الإسلامية كواقع تطبيقى لهذا الدين .

(ج) إن التاريخ الإسلامى يبدأ فقط برسالة محمد ﷺ ، وأنه لا وجود للإسلام فى حياة الجزيرة العربية قبل رسالة محمد ﷺ .

(د) تصوير تاريخ الأمم التى سكنت الجزيرة العربية منذ أقدم الدهور على أنه تاريخ وثنى جاهلى محض لا أثر فيه لدعوة الرسل عليهم السلام .

(هـ) تصوير تاريخ هود وصالح وشعيب وإبراهيم وإسماعيل ، الذين حملوا لواء الدعوة الإسلامية فى حياة الجزيرة العربية ، على أنه تاريخ أسطورى خرافى يسبق التاريخ الحقيقى للأمم التى سكنت جزيرة العرب منذ أقدم الدهور .

(و) معالجة تاريخ مكة المكرمة على أنه تاريخ خرافى وتاريخ الحج أحد أركان الإسلام الخمسة على أنه عادة عربية وثنية قديمة ، وأن الحرم الآمن والأشهر الحرم تحقق نتيجة اتفاق العرب على ذلك ، أى أن الأمر ليس توقيفا من الله عز وجل .

(ز) معالجة تاريخ إبراهيم عليه السلام على أساس أنه كان يهوديا ونصرانيا ولم يكن حنيفا مسلما انتدبه الله عز وجل لأداء مهمة جليلة القدر فى حرم الله الآمن .

(ح) تجاهل البيان الشامل الذى أعلنه إبراهيم عليه السلام وإسماعيل فيما يتصل :

١ — بإمامة البيت العتيق وواجبات الإمام حيال البيت والطائفين والعاكفين والركع السجود .

٢ — الأساس الذى يقوم عليه البيت العتيق وحرم الله الآمن .

٣ — الهدف والغاية التى من أجلها قام إبراهيم وإسماعيل بواجباتهما .

٤ — حقيقة الدين الذى لا يقبل الله من الأولين والآخرين غيره وهو الإسلام الذى دعا إليه جميع الأنبياء والمرسلين .

٥ — حقيقة الحج ومناسكه وأثره الحقيقى فى حياة الأمة المسلمة .

٦ — معنى الأضحية والفداء الذى تحرص عليه الأمة المسلمة فى عيدها الكبير .

(ط) معالجة تاريخ أصحاب الأخدود المسلمين الموحدين ، على أساس أنهم مسيحيين كانوا يناوئون نظام الحكم الحميرى اليهودى فى عهد ذى نواس .

(ى) الزعم بأن أصحاب الفيل الذى حاولوا غزو مكة لهدم بيت الله العتيق ، قد هزموا نتيجة لتفشى وباء الجدرى بينهم (منكرين هلاكهم بالطير الأبابيل التى أرسلها الله سبحانه وتعالى) وهذا الزعم يتبع المنهج العقلانى ، الذى يفسر أحداث التاريخ تفسيرا عقليا ماديا لا أثر فيه لقهر الله الغالب الذى أرسل جنده لتدمير أعدائه وحفظ بيته[1] .



(١) من المراجع التى تفصى بالأخطاء السالفة الذكر :

العرب قبل الإسلام تأليف جورجى زيدان ؛ تاريخ التمدن الإسلامى ، تأليف جورجى زيدان ، تاريخ العرب قبل الإسلام تأليف د . السيد عبدالعزيز سالم ؛ محاضرات فى تاريخ العرب قبل الإسلام تأليف د . صالح العلى ؛ المفصل فى تاريخ العرب قبل الإسلام تأليف جواد على ، تاريخ العرب عصر ما قبل الإسلام تأليف محمد مبروك نافع .

الفصـل الرابـع

الجزء الأول

الموسوعات التاريخية والمراجع التى تعالج تاريخ الإنسان والدين والمدنيات بمعزل عن التصور الإسلامى

إذا رغب إنسان مسلم فى تنمية ثقافته التاريخية[1] عن طريق المراجع التقليدية أو عن طريق دور العلم ، سواء أكانت كليات[2] جامعية أو غيرها ، عن الموضوعات التالية :

تاريخ الإنسان منذ أقدم العصور

تاريخ الدين والعقيدة منذ أقدم العصور

تاريخ المدنيات منذ أقدم العصور .... إلى غير ذلك من الموضوعات التاريخية سوف يجد نفسه فى مواجهة أفكار ومفاهيم تتعارض والفكرة الإسلامية التى ينطوى عليها صدره ، وإن كان مضطرا أن يستوعبها ويختبر فيها للحصول على إجازته الدراسية . من هذه الأفكار والمفاهيم التى تخالف العقيدة الإسلامية :

١ — لا خالق لهذا الكون .

٢ — الإنسان من سلالة الحيوان « القرد » وأنه تطور عن الأحياء الدنيا التى نشأت في البرك والمستنقعات على مدار ملايين السنين .

٣ — أن الإنسان القرد كان في بداية نشأته محدود التفكير لا يتعدى تفكيره تفكير طفل صغير بلغ الخامسة من عمره ، ولم يكن يميز بين الجمادات والكائنات الحية .

---

(١) بما في ذلك الأثرية .

(٢) خاصة أقسام التاريخ والآثار بكليات الآداب والعلوم الإنسانية ، التي يدرس فيها مواد ما تسمى بالتاريخ القديم ، (الشرق الأدنى القديم ، مصر الفرعونية ، العراق القديم الآشوريون ، البابليون ، العرب فى الجاهلية ، بلاد الشام القديم الكنعانيون ، العبرانيون ، اليونان والروم) ، والآثار القديمة . ولا يعني ذلك أن دراسة هذه المواد يقتصر على تلك الكليات فقط ، فلقد تسلل الكثير منها إلى معظم الكليات الجامعية ودور العلم ، بما في ذلك الكليات الأزهرية ، والجامعات الإسلامية .

٤ — أن الإنسان الحيوانى لم يكن لديه إلا القليل من الحديث واللغة .

٥ — إن الإنسان البدائى كان وثنيا ، تخيل له آلهة على قدر نضوجه الفكرى ثم تطورت هذه الأفكار إلى أن وصل إلى مفهوم الدين .

٦ — أن الإنسان قد اخترع الزراعة واستأنس الحيوانات البرية ... إلى غير ذلك مما نجده مبسوطا في كتب التاريخ القديم والآثار[1] .

وسوف نستعرض بعض هذه الأفكار والمفاهيم اللا إسلامية نصا من خلال بعض المراجع الذائعة الصيت ، في هذا المجال ، في مكتبات دور العلم[2] مع التعليق عليها أحيانا :

أولا : تاريخ العالم ، أشرف على إعداده « جون . أ. هامرتن » ، وقام بتأليفه لفيف من أساتذة الجامعات ، منهم ج ماكولي . ترفليان ، فلندرز بترى ، ج . هـ . جينز ، ج . و . جرجرى ، د . ر . واطسن ، أرثر كيث ، هـ . ج . فلير ، رد . مارت ، جون فريزر ، إليوت سميث ، هارولد لاسكي ، ليونارد وولي ، كامبل طمسن ، برترام وندل وقام بالترجمة بعض الأساتذة هم محمد بدران ، وعبد الحميد يونس ، محمد إبراهيم الدسوقي ، محمد عوض محمد ، إبراهيم زكي خورشيد ، المجلد الأول ، الطبعة الثانية ، دار الثقافة بوزارة التربية والتعليم ، مكتبة النهضة المصرية .

وقد حاول أرثر كيث (دكتوراه في الطب والعلوم والقانون) أن يكتب عن تطور الإنسان فزعم بالحرف الواحد « علم الإنسان يتضافر مع علم التشريح على إثبات ارتقاء الإنسان إرتقاءًا بطيئا من الأحياء الدنيا » (ص ٤٣) .

---

(١) سنرد على ذلك تفصيلا فى أبحاثنا : « أخطاء يجب أن تصحح فى التاريخ » ، « مصر منذ أقدم الدهور » ؛ « بلاد النهرين منذ أقدم الدهور » ؛ « بلاد الشام منذ أقدم الدهور » « الجزيرة العربية منذ أقدم الدهور » .

(٢) إن الهدف من بسط الحديث هنا عن هذه المراجع التى تحوى كفراً صراحاً ، وغزت المسلمين فى دور علمهم ، هو استبعادها وتطهير مكتبات المسلمين منها ومن يسير على نهجها لأن استمرار وجودها والسماح لأبنائنا بالاطلاع عليها ، سوف يترتب عليه نتائج خطيرة المدى ، منها تقويض بنيان العقيدة فى نفوس المسلمين .

وتحدث الكاتب عن مراحل التخليق التي مر بها الإنسان فذكر : « الأشكال المحارية الدنيا التي اتخذت لنفسها درعا حجرية تحتصم بها من أعدائها المفترسة آكلة اللحوم ، ثم تأتي بعدها القشريات ذات الغلاف القرني وذوات الفصوص الثلاثة ، ويتلوها مصعدا في مراقي الحياة السمك ذو العمود الفقرى والهيكل العظمي الداخلي ، ومن هذه الكائنات الأخيرة فريق اضطره تقلص البحيرات في زمان طال جفافه ، أن ينشأ له رئات وأطراف ، فتطورت بذلك إلى حيوانات قوازب عمرت الغابات الفحمية الكبرى » ، (ص ٤٦) ثم تحدث الكاتب الأستاذ الدكتور تحت عنوان « تغيرات خطيرة في الأشكال الحية » . ولقد كان التغير الذى طرأ على المناخ ..... هو في الأرجح الذى دفع ببعض الحيوانات القوازب (البرمائيات) إلى أن تخطو الخطوة الخطيرة ، فتقطع صلتها بالماء وتصبح بكليتها برية (ص ٤٦) . ثم يتحدث الكاتب عن « الزواحف » « والحيوانات المهولة » ، « والحيوانات الثديية » ليصل إلى « أسلاف النوع الإنساني » ، فيقول : « وفي مستهل دهر الحياة الحديثة ظهرت جماعة من المخلوقات الصغيرة لنا العذر في أن نقصر اهتمامنا عليها لأن الغالب على الظن أنها أسلاف لنوع من القردة لم نهتد إليه حتى الآن ، وعن هذا النوع نشأت أنواع القردة البشرية الحديثة ونشأ الإنسان نفسه » (ص ٤٦) .

وتحدث الكاتب عن : « الإنسان القرد »[1] ص ١٦٢ .. كما تحدث عن : « اختراع الزراعة » ص ٤٨ . وعن :« اختراع الدين » ، ص ٤٩ .

ثانيا : معالم تاريخ الإنسانية التي أصدرها هـ . ج ولز ، وشارك في تأليفها مجموعة من أساتذة الجامعات منهم : لورستن وورد ، روبرت فيفر ، روبرت شليفر ، ماسون هاموند ، تشارلز جاردنر ، ادوين رايتشارد ، بول كرام ، وليم تومسون ، ميخائيل كاربوفيتس ، كرين برينتون ، روبرت س .

---

(١) العجب أن د. عبد الفتاح محمد هيبة يقول في كتاب مصر والعالم القديم ص ٥٧ — ٥٨ : (إن العلم الحديث يؤكد أن تركيب الإنسان يشبه كثيرا تركيب جسم القرد العلوى ؟؟ !) انظر أيضا المدخل إلى التاريخ ، تأليف نور الدين حاطوم ونبيه عاقل ، ص ٣١ .

تشامبرلين ، لانجر ، وآخرين . وقام على ترجمتها د . عبد العزيز توفيق جاويد ، ط ٣ ، القاهرة ، ١٩٦٧ .

يتحدث **المجلد الأول** في موضع منه :

١ — كيف تكون الإنسان « القردة وأشباه الإنسان والإنسان » :

«كأن موضوع أصل الإنسان وعلاقته بالحيوانات الأخرى مثار جدل ونقاش شديد طيلة السنوات الأخيرة ، والرأى السائد بين العلماء هو أن الإنسان ينحدر من أسلاف أدنى منه مرتبة ، شأنه في ذلك شأن سائر الثدييات ، وأنه والقردة الكبيرة ومنها الشامبانزى والأورانج أوتانج والغوريلا كان لها جميعا يوما ما جد مشترك . وأن هذا الجد قد تطور من أشكال أدنى منه أيضا ، أى من نمط من أنماط الثدييات القديمة انحدر هو أيضا من زاحفة ذات هيئة حيوانية ، وهذه نفسها انحدرت أيضا من سلسلة البرمائيات ، وهذه بدورها من الأسماك البدائية » .

« ولقد صيغ الإنسان فصار إلى هذه الحالة التي نراه عليها اليوم من القوى والمواهب والآمال خلال ملايين وملايين من أفراده مرت في الحياة تباعا » .

وفي موضع آخر من الموسوعة التاريخية يقول : « ماذا كان رأى الإنسان في نفسه وفي العالم أثناء تلك الأيام الخوالي ؟ لم يكن يفكر في بادىء الأمر في أى شيء عدا الأشياء التي تمسه مباشرة ، فلم يكن يشغله بادىء الرأى إلا التفكير مثلا في طريقة للخلاص من الدب إذا اعترض الدب طريقه .... » .

« وقبل أن تتطور لغته إلى حد ما ، لم يكن بقادر إلا على الشيء القليل من التفكير الذى لا يتجاوز نطاق الخبرة العملية البحتة لأن اللغة هى أداة التفكير » .

« والراجح أن الإنسان الأول كان قبل أن يستطيع الكلام يرى الأشكال واضحة بينة ، ويقلد ما يرى بغاية المهارة ، ويأتي بالحركات والإيحاءات ، ويضحك ويرقص ويعيش من غير إعمال أى فكر عن : أيان جاء ؟ ولماذا يعيش ؟ كان يخشى الظلام لا جرم .... وكان يأتي أمورا يستجلب بها رضاء الأشياء التي

كان يخشاها أو يعبر بها طالعة ، ويدخل بها السرور على القوى الوهمية التي خالها في الصخر والوحش والنهر » (ص ١١٣) .

« ولم يكن تمييزه بين الكائنات الحية وبين الجمادات تمييزا واضحا جليا ، فإن آذته عصا لكزها بقدمه . وإن أرغى النهر وفاض ، ظنه عدوا مبينا . وكان فكره فيما يرجح قريبا جدا من مستوى عقل طفل صغير زكي في الرابعة أو الخامسة من عمره . فكان له نفس ما للطفل من عدم تعقل ومن تقلب أهواء ..... ولكن لم يكن لديه إلا القليل من الحديث واللغة » (ص ١١٤) .

وتحت عنوان « الأصول المعقدة للديانات » ، (ص ١٢٣)

« من هذه البداية تطورت الديانات ذات القوانين الموسمية التي لا تزال بين ظهرانينا ومن كل هذه العوامل ، ومن تقاليد الرجل الشيخ ، ومن العواطف التي تحيط بالنساء ، من أجل الرجال ، وتحيط بالرجال من أجل النساء ، ومن الرغبة فى الهرب من العدوى والنحس ، ومن الرغبة فى القوة والنجاح بطريق السحر ، ومن تقاليد التضحية في أوان البذار ، ومن عدد آخر من العقائد والتجارب العقلية والأفكار الخاطئة ، المماثلة لهذه التجارب والأفكار ، أخذ شيء معقد ينمو ويترعرع في حياة الناس وشرع في الوقت نفسه يضم بعضهم إلى بعض من الناحيتين العقلية والعاطفية في حياة وعمل مشتركين . هذا الشيء نستطيع أن نسميه الدين .... » .

« وقد نمت الديانة كما تنمو كل مصلحة إنسانية ، ويعنينا أنه اتضح للقارىء مما سبق بيانه أنه لم يكن في مقدور الإنسان البدائي — وأسلافه القردة وأسلافه من الثدييات ، أن يكون لديها أى فكرة عن الرب أو الدين . فلم يستطع ذهنه ولا قوى فهمه أن تصبح قادرة على تصور هذه الأفكار الهامة إلا ببطء شديد . فالدين شيء نما مع الترابط الإنساني وعن طريقه ، فقد كان الإنسان وما يزال يكشف عن الله »[1] (ص ١٢٤) .

---

(١) (يقول بهذه الأفكار ج . ج . فريزر رائد مقارنة الأديان ، وجرانت ألن فى كتابه تطور الإله ، وهو يسير فيه على منهج هربرت اسبنسر ، كذلك أ . ب . تايلور في كتابه الثقافة البدائية . وكذلك أ . أ . كرولى في كتابه شجرة الحياة) .

ثالثا : موجز تاريخ العالم ، تأليف هـ . ج . ويلز ، وترجمة د . عبد العزيز توفيق جاويد ، ومراجعة محمد مأمون ، القاهرة كتب هـ . ج . ويلز عن : « بداية الحياة » فقال : « المصدر الذى نستقي منه إلى حد كبير معلوماتنا عن الحياة قبل ابتداء المحافظة على الذكريات والتقاليد الإنسانية الأولى هو الآثار والحفريات التي خلفتها الكائنات الحية في الصخور الباقية » .

« عصر الأسماك »

« وقديما كانت مسألة النشوء والارتقاء العضوى هذه مثار مجادلات أليمة كثيرة بين الناس على غرار المسألة المتعلقة بعمر الأرض ، حتى لقد أتى على الناس حين من الدهر كانوا يظنون فيه أن الاعتقاد في النشوء والارتقاء العضوى لا يستقيم – لعلة لا نعلمها – وتعاليم المسيحية واليهودية والإسلام الصحيحة وقد انقضى ذلك الزمان ، وأصبح أشد الناس تمسكا بالعقائد الكاثوليكية الصحيحة ، والبروتستانتية واليهودية والإسلامية لا يتحرجون في قول هذا الرأى الأحدث والأشمل القائل بأن لجميع الكائنات الحية أصلا مشتركا ، إذ لا يلوح أن الحياة نشأت فجأة على ظهر الغبراء . بل إن الحياة نمت ولا زالت تنمو » (١) .

ثم تحدث الكاتب عن « عصر الأسماك (٢) وعصر مستنقعات الفحم أو عصر البرمائيات وعصر الحياة في المستنقعات والبرك (٣) ، عصر الزواحف (٤) وعصر الطيور الأولى والثدييات » فيقول (٥) : « ويقرر أهل العلم عمر عصر

---

(١) موجز تاريخ العالم ، ص ١٣ .

(٢) نفس المرجع ، ص ١٢ .

(٣) نفس المرجع ، ص ١٥ – ١٨ .

(٤) نفس المرجع ، ص ١٩ .

(٥) وكل ما أورده الكتاب فى كتبهم التى تشكل مراجع وفلسفة للراغب فى الحصول على ثقافة تاريخية لا أساس لها من الصحة ، وقد رددنا عليها وصححنا الأخطاء بفضل الله فى كتابنا « أخطاء يجب أن تصحح فى التاريخ ، الرسالة الأولى ، دار الوفاء ص٩٥ » وفيه أثبتنا أن بداية الخلق الإنسانى هى آدم عليه السلام خلقه الله بطول ستون ذراعا ، وهذه البداية هى الكاملة ومازال الخلق ينقص حتى الآن . وآدم كان نبيا مسلما يعرف ربه .

الزواحف بثمانين مليون سنة [1] ، وعصر الثدييات ، القرود ، والقردة العليا ، وأشباه الإنسان » .

ويقول الكاتب : « يقسم علماء الطبيعة الثدييات إلى عدد من الرتب ، ويجعلون على رأس هذه رتبة الثدييات العليا التي تحتوى على الليمور والقرود والقردة والقردة العليا والإنسان . والأصل في ذلك التصنيف هو وجود أوجه تطابق تشريحية لها ، ولا دخل فيه لأى صفات عقلية » [2] .

« فنحن ندنو كثيرا من الإنسان . وسنصف لك في الفصل التالي أعجب هذه الأنواع المؤذنة بظهور البشر ، وهم النياند رتاليون ، القوم الذين كانوا تقريبا — وليسوا أناسا حقيقيين » [3] .

وحاول الكاتب أن يتعرف على « الفكر البدائي للإنسان » « فكيف كان الإنسان الأول يشعر بإنسانيته في تلك الأيام الأولى للمغامرة البشرية ؟ وكيف كان الرجال يفكرون وفيم كانوا يفكرون في تلك الأيام السحيقة من الصيد والتجول قبل أربعمائة قرن خلت وقبل ابتداء أوان البذار والمحصول تلك أيام تسبق بزمن مديد كل سجل مكتوب ، يدون الانطباعات والأفكار الإنسانية ، لذا ليس أمامنا الآن من سبيل إلا أن نركن إلى الاستنتاج والتخمين دون غيرهما في إجابتنا عن هذه الأسئلة » [4] .

« والراجح أن الإنسان البدائي كان يفكر بطريقة تشبه كثيرا طريقة تفكير الأطفال ، أعني أنه كان يفكر في سلسلة من الخيالات » ص ٤٦ .

---

(١) نفس المرجع ، ص ٢٥ . ألا يؤذى ذلك تصور المسلمين في عقيدتهم ومشاعرهم ؟

(٢) نفس المرجع ، ص ٣١ .

(٣) موجز تاريخ العالم ، ص ٣٥ . وكل هذه المعلومات يعتمد فيها كاتب التاريخ ، على علم السلالات البشرية (Ethnologist) وعلم الأجناس البشرية (أنثروبولوجى) ، وكلها تقوم على أن أصل الإنسان حيوان ترقى من أدنى درجات الحياة عبر ملايين السنين .

(٤) العجيب أن الكاتب يعترف هنا ألا سبيل أمامهم إلا الاستنتاج والتخمين ، إذن لماذا لم يحاول أن يرجع إلى رب الإنسان ليسأله عن هذا الإنسان وتاريخه ؟ إنه الإعراض عن منهج الله ، والحرص على إبعاد الإنسان عن معرفة ربه وخالقه ، انظر موجز تاريخ العالم ، ص ٤٥ ، ٤٦ .

وعلى نمط المرجعين السابقين سارت « موسوعة تاريخ العالم » (١) التي أعدها لانجر ، وترجمها عثمان نوية ، د . راشد البراوى ، محمد علي أبو درة ، القاهرة ، ١٩٧١ ، ص ١٢ ، ص ٤٦ ، ٥٤ ، ٥٥ ، ٦٢ ، ٦٤ ، ٧٤ ، وقصة الحضارة ، جـ ١ ، م ١ ، تأليف ول . ديورانت وترجمة محمد بدران وآخرين ، الإدارة الثقافية جامعة الدول العربية ، القاهرة ١٩٦٤ .

رابعا : الموسوعة الأثرية العالمية ، تأليف ليونارد كوتريل (ترجمة د . محمد عبد القادر محمد ، د . زكى إسكندر ومراجعة د. محمد عبد المنعم أبو بكر) ، القاهرة ١٩٧٧ ولقد تحدثت الموسوعة عن عديد من الموضوعات منها :

١ – « القصة العجيبة لتطور الإنسان من الحالة الحيوانية إلى الحالة الإنسانية » ، ص ٢٦ .

٢ – نشر داروين نظريته عن أصل الأجناس في عام ١٨٥٩ كنتيجة لما أسفرت عنه الأبحاث الأثرية فيقول : « وتطلع الناس إلى الوراء لا لحدوث خلق الإنسان في سنة ٤٠٠٤ ق . م بل إلى هوة فاغرة فاها من الوقت تبدو بلا قرار » .

« وأثبت الجيولوجيون أن مدة ظهور الإنسان العاقل وتطوره بالمقارنة إلى عمر الأرض (ص ٢٨) وعلى هذا الأساس حاول علماء الآثار في القرنين ١٩ / ٢٠ أن يرسموا **صورة لتطور الإنسان** ...... من الوحشية إلى المدنية » ص ٢٨ .

« وفي أفريقية ، وجدت بقايا **لما قبل الإنسان** وهي بالغة القدم » ، (ص ٢٩) .

« وسحر علم الآثار العصر النيوليتي وما تلاه من العصور يرجع إلى أنه يتحدث عن أناس كانوا في كثير من النواحي يشبهوننا إلى حد كبير . أما سحر

---

(١) تحدث عن العصر الحجرى الحديث ، واختراع أربع مظاهر جديدة فى كل جهات العالم منها : الزراعة ، استئناس الحيوان ، ص ٢٢ .

علم ما قبل التاريخ فمن نوع مضاد ، ففي البدايات الأولى نحن نواجه بمخلوقات ليست من القردة ، ولكنها ليست أيضا من جنس الإنسان » (ص ٣٤) . « ولا يزال تعريف بنيامين فرانكلين للإنسان صحيحا بأنه حيوان صانع الأدوات » (ص ٣٤) .

« منذ ثلاثين مليون من السنوات (العصر الميوسين) عاش في أفريقيا نوع من المخلوقات الشبيهة بالقرود وصف باسم بروكونصول له بعض خصائص تخالف خصائص القرود مما جعل البعض يقترح أن هذا قد يدل على أنه ينتمي إلى السلالة الرئيسية التي انحدر منها كل من الإنسان والقرود » (ص ٣٥) .

« وخلال عصر البليوسين المبكر تطورت أصناف أخرى من القرود بحيث تلاءمت طبيعتها لتصبح قادرة على العيش على الشجر كما تعيش اليوم بعض أصناف القرود ، غير أنه كانت توجد قرود أخرى فضلت العيش في الخلاء ، فتطورت عظام حوضها وساقيها الخلفيتين بمرور الوقت إلى درجة مكنتها من السير بسهولة على ساقيها الخلفيتين فقط . ومن المعتقد أن هذه الوقفة الرأسية هي التي مكنت من تطوره إلى الجنس البشرى ، وعندما تعلم الإنسان أو شبه الإنسان (sub-man) أن يمشي معتدلا أصبحت له حرية استعمال طرفيه الأماميين ويديه فتمكن من التقاط الأشياء وفحصها ، وتطورت مخالبه الأمامية (أى يداه) تطورا كبيرا بينما لم تتطور قدماه » (ص ٣٥) .

« وهذا المخلوق الشبيه بالإنسان تطورت عيناه بحيث أصبحت قادرة على أن ترى كُلاًّ من الأشياء القريبة والأشياء البعيدة ، وأهم من كل هذا تطور عقله ، وقد انفرد أسلاف الإنسان بتطور العقل . وبمرور الوقت توقف العقل الإنساني عن أن يكون مجرد قائد وموجه لحركات الجسم الطبيعية مثل الحيوانات الأدنى ، ونشأ عنده وعي ذاتي ، وقدرة على التفكير التصورى » (١) ، (ص ٣٥) .

« ويقول عالم مشهور من علماء ما قبل التاريخ أن الوعي العقلي بالنسبة للحيوان نادر كندرة الدابوق على شجرة البلوط » .

« فالإنسان هو الحيوان الوحيد الذى يمكنه أن يقف خارج الشباك ويرى نفسه وهو يتحدث ... ومنذ ثلاثمائة سنة ، ذكر طبيب إيطالي يدعى جالياني (Galliani) أن الإنسان هو الحيوان الوحيد الذى يهتم ويجد لذة في أشياء لا تخصه » ، (ص ٣٥) .

« وليس هذا مجال وصف نشوء الإنسان وارتقائه من القرد الإنسانى إلى الإنسان الفطرى (Primeval) ثم من الإنسان الفطرى إلى الإنسان البدائي ، ثم من الإنسان البدائي إلى الإنسان الحديث » . (ص ٣٥) .

— وفي جاوة وجد الإنسان القرد الذى كان يمشي منتصبا مثل الإنسان » ، (ص ٣٦) .

— « ولا زلنا لا نعرف لأى جنس ينسب سلفنا ، نحن المعروف باسم هومو سباينس » (ص ٣٦) .

ثم تحدثت الموسوعة عن : « استئناس الحيوانات المتوحشة مثل الثور والشاة » ، (ص ٣٧) .

وتحدثت الموسوعة الأثرية عن :

— تحول الإنسان الصياد إلى الإنسان المزارع » ، (ص ٣٧) .

— « فهناك حقيقة واحدة تبدو واضحة أن الإنسان تطور من الحالة الحيوانية إلى الحالة الإنسانية عن طريق حدث بالغ الندرة ألا وهو نشأة الوعى ، ومنه تولد العنصر الروحى الذى أطلق عليه قدماء المصريين « الكا » ونطلق نحن عليه اسم الروح ، وبالرغم من التعليق الساخر للجراح الشهير الذى قال عندما كان يشرح جسما بشريا أنه فشل فى العثور على أثر للروح ، فإن الكثيرين جدا منا مقتنعون بكينونتها . ومهما كان الأمر ، فإنها هى النبع الذى تنبثق منه شرائعنا والأخلاق والقوة المحركة خلف تلك الأعمال من محبة للغير والتضحية بالنفس التى لا توجد لدى الحيوانات ، والتى هى دون الإنسان مرتبة » ، (ص ٤١) .

- « فليس علم الآثار إذن مجرد وسيلة للهروب من الحاضر أو التنقيب عن الماضى الميت المنسى ، ولكن بالمفهوم الصحيح وسيلة لزيادة فهمنا لنفوسنا » (ص ٤١) .
- « أول ديانة توحيد فى التاريخ هى « هى عبادة قرص الشمس آتن أو آتون » ، (ص ٥٣) .

تعليق :

وهكذا تتعاون الدراسات الأثرية مع التاريخ القديم فى تعميق الإلحاد والكفر فى نفس القارىء والدارس . فالملاحظ أن الدراسات الأثرية :

أولا : وراء نظرية النشوء والارتقاء التى وضعها اليهودى داروين .

ثانيا : التشكيك فى الروح الإنسانية وإن أعزى إليها شرائعنا الأخلاقية والقوة المحركة خلف تلك الأعمال من محبة الغير والتضحية بالنفس التى لا توجد لدى الحيوانات ، والتى هى دون الإنسان مرتبة .

ثالثا : أن علم الآثار الوسيلة لزيادة فهمنا لأنفسنا (بدلا من الرجوع إلى الله).

رابعا : أن عبادة قرص الشمس آتون (١٤٥٠ ق.م) هى أول ديانة توحيد فى التاريخ رغم أن عبادة قرص الشمس شرك بالله عز وجل ، والتوحيد الحقيقى هو إفراد الله سبحانه وتعالى بالعبادة وكان بودنا أن نستطلع رأى علماء المسلمين الصادقين عن حكم الإسلام فى هذه الأقوال والأفكار الواردة فى هذه الموسوعات التاريخية والأثرية وحكم اعتناق ما فيها أو تربية أبناء المسلمين عليها ، أو السماع بوجودها فى مكتبات المسلمين[1] .



---

(١) انظر التصحيح « أخطاء يجب أن تصحح فى التاريخ ، الرسالة الأولى » ، دار طيبة ، الرياض .

الجزء الثانى

تاريخ الإنسان والدين والمدنيات فى ضوء التصور الإسلامى

(أ) البداية الحقيقية لتاريخ الأمة المسلمة آدم وزوجه وأبنائهما نواة المجتمع البشرى الأول المسلم فى التاريخ قيام هذا المجتمع على توحيد الله والخضوع لنظامه وشريعته

خلق الله سبحانه وتعالى آدم (١) عليه السلام – واستخلفه فى الأرض ﴿ وإذ قال ربك للملائكة إنى جاعل فى الأرض خليفة ﴾ ينفذ أحكام الله سبحانه وتعالى ، ومن آدم خلق الله حواء فكانت زوجة له : ﴿ يأيها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساءً واتقوا الله الذى تساءلون به والأرحام إن الله كان عليكم رقيبا ﴾ .

وهذا يعكس لنا قيمة هذا الإنسان الذى أعلن الله سبحانه وتعالى بنفسه خلقه واستخلافه على ملأ من الملائكة . واستخلاف الإنسان فى الأرض يعنى تزويده بمقومات الخلافة ولذلك فإن الله : (علم آدم الأسماء كلها) وخصه بالمعرفة التامة من معرفة الأسماء والأشياء والأجناس واللغات .

---

(١) قال ﷺ : « خلق الله آدم وطوله ستون ذراعا ، ثم قال اذهب فسلم على أولئك من الملائكة واستمع ما يجيبونك فإنها تحيتك وتحية ذريتك ، فقال : السلام عليكم ، فقالوا السلام عليك ورحمة الله فزادوه ورحمة الله فكل من يدخل الجنة على صورة آدم فلم يزل الخلق ينقص حتى الآن » (رواه البخارى فى باب الاستئذان ؛ فتح البارى ، جـ ٦ ، ص ٣٦٢ وما بعدها) .

وقال ﷺ : « خير يوم طلعت عليه الشمس يوم الجمعة فيه خلق آدم وفيه أدخل الجنة وفيه أخرج منها ، وفيه تقوم الساعة » (رواه مسلم) وقال ﷺ : « إنَّ الله خلق آدم من قبضة قبضها من جميع الأرض فجاء بنو آدم على قدر الأرض فجاء منهم الأبيض والأحمر والأسود وبين ذلك الخبيث والطيب والسهل والحزن » (رواه أحمد) .

وقبل استخلاف آدم فى الأرض ، سكن هو وزوجه الجنة : ﴿ وقلنا يآدم اسكن أنت وزوجك الجنة وكلا منها رغدا حيث شئتما ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين . فأزلهما الشيطان عنها فأخرجهما مما كانا فيه ، وقلنا اهبطوا بعضكم لبعض عدو ﴾ . والخطاب لآدم وحواء وإبليس ، أى الشيطان عدو لكم فكونوا أعداء له ، ﴿ ولكم فى الأرض مستقر ومتاع إلى حين ﴾ أى تمتعوا بنعيمها إلى وقت انقضاء آجالكم .

﴿ فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه ﴾ أى استقبل آدم دعوات من ربه ألهمه إياها فدعاه بها ﴿ إنه هو التواب الرحيم ﴾ .

﴿ قلنا اهبطوا منها جميعا فإما يأتينكم منى هدى ﴾ أى رسول أبعثه إليكم ، ﴿ فمن تبع هداى ﴾ أى آمن بى وعمل بطاعتى ﴿ فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون ﴾ ، أى لا ينالهم خوف ولا حزن فى الآخرة ﴿ والذين كفروا وكذبوا بآياتنا ﴾ جحدوا بما أنزلت وبما أرسلت ﴿ أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون ﴾ (١) .

ونخلص من العرض السابق إلى ما يأتى :

أولا : أن الإنسان مخلوق مكرم بنفخة من روح الله .﴿ فإذا سويته ونفخت فيه من روحى فقعوا له ساجدين ﴾ .

ثانيا : وأنه لعظم شأن الإنسان فإن الله قد أسجد له الملائكة ﴿ وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم ﴾ وأن آدم كان يوحد ربه حق التوحيد (٢) ، بل

---

(١) وذلك يعنى أن الله سبحانه وتعالى قد أعلم آدم أن من ذريته سيكون ، فريق مهتدى وفريق ضال وضرب الله مثلا لهذين الفريقين فى قصة ابنى آدم التى سيرد ذكرها فيما بعد .

(٢) وهكذا قدم لنا القرآن الكريم حقيقة خلق الإنسان وتكريم الله سبحانه وتعالى له . وذلك يهدم ما قاله أدولف أرمان ونقله إلى اللغة العربية د / محمد أنور شكرى و د / محمد عبد المنعم أبو بكر فى كتابه ديانة مصر القديمة (ص ٤) من أن الإنسان أخذ التدين عن الحيوان ، وكذلك أخذ عنه إنشاء الأسرة ، وعنه تعلم اختراع لغة التخاطب .... الخ كما يهدم دعوة الدكتور محمد السيد غلاب و د / يسرى الجوهرى إلى الإنسان القرد فى كتابهما : « الجغرافية التاريخية عصر ما قبل التاريخ » ص ١٩٧ ، كما يهدم مزاعم رالف لنتون عن الإنسان غير العاقل الذى ينتمى إلى فصيلة القردة والذى ترجمها له د / أحمد فخرى فى كتاب =

إن ذريته قد أخذ عليهم العهد وهم فى عالم الذر بتوحيد الله ﴿ وإذ أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى ، شهدنا أن تقولوا يوم القيامة إنَّا كُنَّا عن هذا غافلين .أو تقولوا إنما أشرك آباؤنا من قبل وكنا ذرية من بعدهم أفتهلكنا بما فعل المبطلون ﴾ (١) . وفى الحديث أن الله يقول لأهون أهل النار عذابا : لو أن لك ما فى الأرض من شيء كنت تفتدى به ؟ قال : نعم . قال : فقد سألتك ما هو أهون من هذا وأنت فى صلب آدم : أن لا تشرك بى ، فأبيت إلا الشرك (فتح البارى ، جـ ٦ ، ص ٣٦٣) .

وكذلك الأمر بالنسبة لزوج آدم ، لأن الله زوجه من قبل أن ينزل إلى الأرض ، فآدم نزل إلى الأرض ، وهو يعلم أنه قد خلق وزوجه وذريته لعبادة الله الواحد الأحد ، مزودا برصيد من تجربة الخطأ والصواب فى مواجهة عدو له ولزوجه وللذريته هـو إبليس لعنه الله .

ولما هبط آدم إلى الأرض وجدها مهيأة لحياتهما فتكون منهما ومن نسلهما أول جماعة بشرية مسلمة فى التاريخ ، وقد كانت تلك الجماعة الأولى نواة المجتمع البشرى : أمة مسلمة فطرت على توحيد الله عز وجل ، وقد تولى آدم عليه السلام وزوجه تنشئة أبنائهما على حب الله وطاعته والاستسلام له .

= شجرة الحضارة ، (ص ٢٧) كما يهدم كل دراسات التاريخ القديم ، ويبين فساد الفكر الوارد فى الموسوعات التاريخية التى عرضنا بعض ما جاء فيها على الصفحات السابقة .

(١) وقد ورد عن أبى بن كعب فى تفسير هذه الآية :

﴿ وإذ أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذريتهم ﴾ الآية والتى بعدها قال : فجمعهم له يومئذ جميعا ما هو كائن منه إلى يوم القيامة فخلقهم ثم صورهم ثم استنطقهم فتكلموا فأخذ عليهم العهد والميثاق وأشهد عليهم أنفسهم ﴿ ألست بربكم ؟ قالوا بلى ﴾ الآية قال : فإنى أشهد عليكم السموات السبع والأرضين السبع وأشهد عليكم أباكم آدم أن لا تقولوا يوم القيامة لم نعلم بهذا . اعلموا أنه لا إله غيرى ولا رب غيرى ولا تشركوا بى شيئا وأنى سأرسل إليكم رسلا ينذرونكم عهدى وميثاق وأنزل عليكم كتابى – قالوا : نشهد إنك ربنا وإلهنا لا رب لنا غيرك ولا إله لنا غيرك فأقروا له يومئذ بالطاعة . ورفع أباهم آدم فنظر إليهم فرأى فيهم الغنى والفقير وحسن الصورة ودون ذلك فقال : يا رب لو سويت بين عبادك . فقال إنى أحببت أن أشكر . ورأى فيهم الأنبياء مثل السرج عليهم النور وخصوا بميثاق آخر من الرسالة والنبوة فهو الذى يقول الله تعالى : ﴿ وإذ أخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح وإبراهيم وموسى ﴾ ويقول تعالى : ﴿ فأقم وجهك للدين حنيفا فطرة الله التى فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ﴾ (انظر البداية والنهاية ، ج ١ ص ٩٠) .

وهكذا نجد أن الإسلام بمعنى التوجه إلى رب العالمين فى خضوع خالص لا يشوبه شرك كان أول عقيدة عرفتها البشرية حيث لم تكن معها عقيدة أخرى . ولا شك أن سيدنا آدم كان ينظم حياة تلك الجماعة البشرية الأولى على أساس هذه العقيدة الإلهية الصحيحة ، ثم حصل انحراف الناس عن عقيدة التوحيد التى فطروا عليها بعد زمن من وفاة أبى البشر عليه السلام وانتشار نسله فى الأرض وشروعه فى إقامة أولى المدنيات ، وضل خلق كثير منهم ، لأسباب كثيرة فبعث الله رسله مبشرين ومنذرين لرد الناس إلى ربهم ودينهم حتى لا يكون للناس حجة على الله بعد ما جاءهم الحق على أيدى الرسل ، إن هم استحبوا العمى على الهدى (١) .

﴿ وعلم آدم الأسماء كلها ﴾

هل ما زعمه كتاب التاريخ صحيحا ؟؟ من أن الإنسان خلق عاريا ، فاخترع ثياباً يغطى بها عورته ؟؟ .

وأن الإنسان قد استأنس حيوانات بعينها من بين الحيوانات البرية أم أنه قد خلق من الأنعام خصيصا طائفة ذلولة فى يد الإنسان ؟؟

وإذا كانت تلك المزاعم صحيحة ؟؟ فمن الذى سخر البحر بما فيه لبنى آدم ؟ .

ومن الذى جعل الأرض ذلولا راسية حتى لا تطيح بالإنسان من على ظهرها ؟ ومن الذى شق فيها الأنهار والسبل ؟ ومن الذى خلق النجوم ؟ ولأى

---

(١) وذلك يهدم مزاعم من يزعمون من أن الإنسان بدأ وثنيا ، لا يعرف له دينا ولا يرتضى له ربا ، فبدأ يختار آلهته على قدر نضوجه الفكرى وتطور فى ذلك من الطوطمية إلى الوثنية إلى التوحيد ، إلى أن وصل إلى الإسلام الذى يعتبر فى زعمهم خليطا من اليهودية والمسيحية والوثنية (موسكاتى ، الحضارات السامية القديمة ، ص ٢٠٨) ، كما يهدم أيضا الأساس الذى تقوم عليه دراسات ما يسمى بالتاريخ القديم التى تعتبر أن الدين من اختراع العقل البشرى (انظر تاريخ الشرق الأدنى القديم ؛ ديانة مصر القديمة ؛ تطور الفكر والدين فى مصر القديمة ؛ فجر الضمير ؛ تراث العالم القديم ؛ الديانة العربية القديمة ؛ شجرة الحضارة ؛ الشرق الخالد .

غاية خلقت ؟ ومن الذى هيأ الظِلَّ للإنسان ؟ .

ومن الذى أنزل الماءَ من السماءِ فأحيا به الأرض بعد موتها ؟ . من الذى هدى الإنسان إلى ما فى بطون الأنعام من ألبان وإلى ما فى بطون النحل من شراب مختلف ألوانه ؟ .

من الذى علم الإنسان اتخاذ المسكن والأثاث ؟ ومن الذى علمه صناعة الدروع ؟؟ من الذى علم الإنسان الزراعة ؟ بل وعلمه كيف تتم علمية الإخصاب فى النبات ؟ بل ومن الذى علمه السعى فى طلب المعاش ؟؟

إنه الله خالق كل شيء

الذى علّم الإنسان ما لم يعلم .

الله سبحانه وتعالى – يعلم بني آدم كيف يسترون عوراتهم :

خلق الله آدم وحواء وألبسهما من حلل الجنة – ﴿ فلما ذاقا الشجرة بدت لهما سوءاتهما وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة ﴾[١] أى أخذا وشرعا يلصقان ورقة على ورقة ليستتروا به بعد أن كانت كسوتهما من حلل الجنة ...

ومعنى ذلك أن آدم وحواء وهما والدا البشرية لم يعيشا عاريين ثم اخترعا الثياب ولكنهما خلقا مستورين ، ثم علمهم الله صناعة الملابس ويظهر ذلك من قوله تعالى ﴿ يا بنى آدم قد أنزلنا عليكم لباسا يوارى سوآتكم وريشا ﴾[٢] (أى أنزلنا عليكم لباسين .. لباسا يستر عوارتكم ولباسا يزينكم وتتجملون به ، والريش لباس الزينة استعير من ريش الطير لأنه لباسه وزينته) ﴿ ولباس التقوى ذلك خير ﴾ أى ولباس الورع والخشية من الله تعالى خير ما يتزين به المرء فإن طهارة الباطن أهم من جمال الظاهر . ﴿ ذلك من آيات الله ﴾ (أى أنزل اللباس من الآيات الدالة على فضل الله ورحمته على عباده « لعلهم يذكرون » هذه النعم فيشكرون الله عليها) .

---

(١) الأعراف : ٢٢

(٢) الأعراف : ٢٦

الله سبحانه وتعالى يسخر الكون لبنى آدم ويذلل لهم الأرض وما عليها :

﴿ والأنعام خلقها ﴾ أى وخلق الأنعام لمصالحكم وهى الإبل والبقر والغنم ﴿ ولكم فيها دفء ﴾ أى لكم فيها ما تستدفئون به من البرد مما تلبسون من الأصواف والأوبار ﴿ ومنافع ومنها تأكلون ﴾ أى ولكم فيها منافع عديدة من النسل والدر وركوب الظهر ، ومن لحومها تأكلون ولكم (فيها جمال حين تريحون وحين تسرحون) أى ولكم فى هذه الأنعام والمواشى زينة وجمال حين رجوعها عشيا من المرعى وحين غدوها صباحا لترعى (وتحمل أثقالكم إلى بلد لم تكونوا بالغيه إلا بشق الأنفس ، إن ربكم لرؤوف رحيم) أى أن ربكم الذى سخر لكم هذه الأنعام لعظيم الرأفة والرحمة بكم ﴿ والخيل والبغال والحمير لتركبوها وزينة ﴾ (١) أى أن الله هو الذى خلق هذه الأنعام وجعلها طائعة ذلولة فى يد الإنسان وليس الإنسان هو الذى اختار ما يستأنس ويروض من الحيوانات كما يزعم من كتب فيها يسمى بالتاريخ القديم أو الجغرافية التاريخية أو علم الاجتماع .

الله سبحانه وتعالى يعلم بنى آدم الرعى :

﴿ هو الذى أنزل من السماء ماءًا لكم منه شراب ، ومنه شجر فيه تسيمون ﴾ أى وأخرج لكم منه شجر ترعون فيه أنعامكم ﴿ ينبت لكم به الزرع والزيتون والنخيل والأعناب ومن كل الثمرات ، إنّ فى ذلك لآية لقوم يتفكرون ﴾ لما فى ذلك دلالة على قدرة الله ووحدانيته لقوم يتدبرون فى صنعه فيؤمنون (١) .

---

(١) النحل ٥ — ٨ . هذه حجة سريعة لإبطال مزاعم أولئك الذين كتبوا ما يسمى بالتاريخ القديم أو تاريخ الإنسان القرد أو إنسان العصور الحجرية أو الإنسان غير العاقل الذين تشكل المجتمعات البشرية فى بدايتها الأولى ، فصور الإنسان على أنه كان عاريا ، فاخترع الثياب كما اخترع دينه إلى غير ذلك من أباطيل تمتلىء بها كتب التاريخ القديم (انظر القائمة آخر الرسالة) مثال ذلك الشرق الخالد تأليف الدكتور عبد الحميد زايد . يقول المؤلف ص ٦ (وعندما خلق الإنسان لم يعرف الخبز فيطعمه ولا الملبس فيرتديه ، ومشى الناس حفاة فوق الأرض وأكلوا الحشائش بأفواههم كما تفعل الأغنام وشربوا الماء من الخنادق) .

(١) النحل : (١٠ — ١١)

الله سبحانه وتعالى سخر البحر وما فيه لبنى آدم ، كما علمهم صناعة السفن وركوب البحار :

﴿ وهو الذى سخر لكم البحر ﴾ الله الذى ذلل لكم بقدرته ورحمته البحر المتلاطم الأمواج للركوب فيه والغوص فى أعماقه ﴿ لتأكلوا منه لحما طريا ﴾ أى لتأكلوا من البحر السمك الطرى الذى تصطادونه ﴿ وتستخرجوا منه حلية تلبسونها ﴾ أى الجواهر النفيسة كاللؤلؤ والمرجان ﴿ وترى الفلك مواخر فيه ﴾ أى وترى السفن العظيمة تشق عباب البحر جارية فيه وهى تحمل الأمتعة والأقوات ﴿ ولتبتغوا من فضله ﴾ ولتطلبوا من فضل الله ورزقه سبل معايشكم بالتجارة ﴿ ولعلكم تشكرون ﴾ (١) .

الله سبحانه وتعالى يذلل الأرض لبنى آدم ، ويعلمهم كيف يضربون فى جنباتها مهتدين بالنجوم وغيرها :

﴿ وألقى فى الأرض رواسى أن تميد بكم ﴾ أى نصب فيها جبالا ثوابت راسيات لئلا تضطرب بكم وتميل ﴿ وأنهاراً وسبلاً لعلكم تهتدون ﴾ أى جعل فيها أنهارا وطرقا ومسالك لعلكم تهتدون إلى مقاصدكم ﴿ وعلامات وبالنجم هم يهتدون ﴾ أى وعلامات يستدلون بها على الطرق كالجبال والأنهار ، وبالنجوم يهتدون ليلا فى البرارى . ﴿ أفمن يخلق كمن لا يخلق ﴾ الاستفهام إنكارى أى أتسوون بين الخالق لتلك الأشياء العظيمة والنعم الجليلة وبين من لا يملك لنفسه نفعا ولا ضرا فضلا عن غيره ﴿ أفلا تذكرون . وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها إن الله لغفور رحيم ﴾ (٢) .

الله سبحانه وتعالى .. يهيىء الظل لبنى آدم :

﴿ أو لم يروا إلى ما خلق الله من شيء يَتَفَيَّؤُا ظلاله عن اليمين والشمائل سجدا لله وهم داخرون ﴾ . أى أو لم يعتبر هؤلاء الكافرون ويروا آثار قدرة الله وأنه ما من شيء من الجبال والأشجار والأحجار ومن سائر ما خلق الله تميل

---

(١) النحل : ١٤ (٢) النحل : (١٥ — ١٨)

ظلالها من جانب إلى جانب ساجدة لله سجود خضوع لمشيئته تعالى وانقياد لا تخرج عن إرادته ومشيئته وهم خاضعون صاغرون (١)

الله سبحانه وتعالى ، يحيى الأرض لبنى آدم ويهديهم إلى ما فى بطون الأنعام من ألبان وإلى ما فى بطون النحل من شراب مختلف ألوانه :

﴿ والله أنزل من السماء ماءً فأحيا به الأرض بعد موتها إن فى ذلك لآية لقوم يسمعون ﴾﴿ وإن لكم فى الأنعام لعبرة ﴾ أى أن لكم أيها الناس فى هذه الأنعام الإبل والبقر والضأن والمعز لعظة وعبرة يعتبر بها العقلاء ففى خلقها وتسخيرها دلالة على قدرة الله وعظمته ووحدانيته﴿ نسقيكم مما فى بطونه ﴾ أى نسقيكم من بعض الذى فى بطون هذه الأنعام﴿ من بين فرث ودم لبنا خالصا ﴾ أى بين الروث والدم ذلك الحليب الخالص واللبن النافع﴿ سائغا للشاربين ﴾ أى سهل المرور فى حلقهم ، لذيذا لا يغص به من شربه . ﴿ ومن ثمرات النخيل والأعناب تتخذون منه سكرا ورزقا حسنا إن فى ذلك لآية لقوم يعقلون ﴾ .

﴿ وأوحى ربك إلى النحل أن اتخذى من الجبال بيوتا ومن الشجر ومما يعرشون ثم كلى من كل الثمرات ﴾ . أى من كل الأزهار والثمار التى تشتهيها من الحلو ، والمر ، والحامض ، فإن الله بقدرته يحيلها إلى عسل ﴿ فاسلكى سبل ربك ذللاً يخرج من بطونها شراب مختلف ألوانه فيه شفاء للناس إن فى ذلك لآية لقوم يتفكرون ﴾ (٢) .

الله سبحانه وتعالى ، هو الذى علم بنى آدم اتخاذ المسكن والأثاث :

﴿ والله جعل لكم من بيوتكم سكنا وجعل لكم من جلود الأنعام بيوتا ﴾ هذا تعداد لنعم الله على العباد أى جعل لكم هذه البيوت من الحجر والمدر لتسكنوا فيها أيام مقامكم فى أوطانكم وجعل لكم بيوتا أخرى وهى الخيام والقباب المتخذة من الشعر والصوف والوبر ﴿ تستخفونها يوم ظعنكم ﴾

---

(١) النحل ، ٤٨

(٢) النحل : ٦٨ — ٧٠ .

ويوم إقامتكم ﴾ أي تستخفون حملها ونقلها فى أسفاركم ، وهى خفيفة عليكم فى أوقات السفر والمطر ﴿ ومن أصوافها وأوبارها وأشعارها أثاثا ﴾ أى وجعل لكم من صوف الغنم ووبر الإبل وشعر المعز ما تلبسون وتفرشون به بيوتكم (ومتاعاً إلى حين) (١) . أى تنتفعون وتتمتعون به إلى حين الموت .

والله سبحانه وتعالى يعلم بنى آدم صناعة الدروع :

﴿ والله جعل لكم مما خلق ظلالا وجعل لكم من الجبال أكنانا ﴾ أى مواضع تسكنون فيها ﴿ وجعل لكم سرابيل تقيكم الحر ﴾ . أى جعل لكم ثيابا من القطن والصوف والكتان لتحفظكم من الحر والبرد ﴿ وسرابيل تقيكم بأسكم ﴾ أى دروعا تشبه الثياب تتقون بها شر أعدائكم فى الحرب ﴿ كذلك يتم نعمته عليكم لعلكم تسلمون . فإن تولوا فإنما عليك البلاغ المبين . يعرفون نعمة الله ثم ينكرونها وأكثرهم الكافرون ﴾ (٢) .

الله سبحانه وتعالى – يعلم بنى آدم – تلقيح النباتات (٣) حتى يتم الإخصاب ، ويعلمهم كيف يسعون فى الأرض لطلب المعاش :

﴿ والأرض مددناها وألقينا فيها رواسى وأنبتنا فيها من كل شىء موزون ﴾ . أى أنبتنا فيها من الزروع والثمار من كل شىء موزون بميزان وحكمة ، بدقة وتقدير ﴿ وجعلنا لكم فيها معايش ﴾ أى ما تعيشون به من المطاعم والمشارب ﴿ ومن لستم له برازقين ﴾ أى وجعلنا لكم من العيال والأنعام من لستم له برازقين ، لأننا نخلق طعامهم وشرابهم لا أنتم . ﴿ وإن من شىء إلا عندنا خزائنه وما ننزله إلا بقدر معلوم ﴾ أى ما من شىء من أرزاق الخلق والعباد ومنافعهم إلا عندنا خزائنه ومستودعاته ولكن لا ننزله إلا على حساب حاجة الخلق إليه وعلى حسب المصالح كما نشاء ونريد . ﴿ وأرسلنا الرياح

---

(١) النحل : ٨٠ .

(٢) النحل : ٨١ – ٨٣ .

(٣) وهذا بيان من الله أنه هو الذى ينبت الزروع والثمار للإنسان ، وذلك يكشف لنا فساد ما ورد فى كتابات المشتغلين بالتاريخ القديم مثال ذلك ما ورد فى كتاب الشرق الخالد ، ص ٢١ : (وقد تميزت الزراعة التى اخترعها الإنسان – إلى آخر ما ورد) .

لواقح ﴾ أى تلقح السحاب فيدر ماء ، وتلقح الشجر فينفتح عن أوراقه وأكمامه ، فالريح كالفحل للسحاب والشجر ﴿ فأنزلنا من السماء ماءً فأسقيناكموه وما أنتم له بخازنين ﴾ (١) .

خلاصة : نخلص من العرض السابق إلى أن الله سبحانه وتعالى ، قد خلق آدم وزوجه وذريته فهو الخالق سبحانه وتعالى ، والذى خلق هو الذى يأمر ﴿ ألا له الخلق والأمر ﴾(٢). ولذلك فإنه سبحانه وتعالى أمر آدم وزوجه بالنزول إلى الأرض مستخلفا ومبتلى لينظر سبحانه وتعالى كيف يعملون ﴿ الذى خلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملا ﴾(٣) ومن رحمة هذا الإله العظيم أنه قد زود آدم وذريته بكل المقومات للخلافة فى الأرض . من علم ومعرفة ، فعلمه أنه قد خلق وذريته للعبادة ﴿ وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون ، ما أريد منهم من رزق وما أريد أن يطعمون إن الله هو الرزّاق ذو القوة المتين ﴾(٤) وعلمه أن العبادة لا تقف عند إقام الصلاة وإيتاء الزكاة وصوم رمضان وحج البيت ولكن تمتد لتشمل جنبات الحياة كلها . ﴿ قل إن صلاتى ونسكى ومحياى ومماتى لله رب العالمين ، لا شريك له وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين ﴾(٥) .

كما علّم الله سبحانه وتعالى آدم وأبناءه أنه قد ارتضى لهم الإسلام كعقيدة وشريعة ودينا وأنه هو الدين الذى لا يقبل الله من الأولين أو الآخرين غيره : ﴿ ومن يبتغ غير الإسلام دينا فلن يقبل منه وهو فى الآخرة من الخاسرين ﴾(٦) كما أنه سبحانه وتعالى قد حذر آدم وذريته من الشيطان . ﴿ إن الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا ، إنما يدعوا حزبه ليكونوا من أصحاب السعير ﴾(٧)

هذا الإله الرحيم . رب العالمين ، علم آدم وذريته كيف يسترون عوراتهم وكيف يحرثون الأرض للزراعة ، كما ذلل لهم الأرض وما عليها ، وذلل لهم البحار ليأكلوا من خيرها ، ويستخدمونها كطرق للمواصلات ، ولذلك فقد دل الله تعالى بنى آدم على صناعة السفن ، كما أنه سبحانه وتعالى هو الذى علم بنى آدم

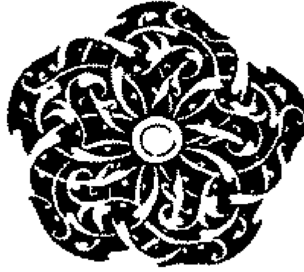
---

(١) الحجر : ٢٢ .
(٢) الأعراف : ٥٤ (٣) تبارك : ٣ (٤) الذاريات : ٥٦ .
(٥) الأنعام : ١٦٢ . (٦) آل عمران : ٨٥ (٧) فاطر : ٦ .

كيف (١) يستفيدون من الفلك للاهتداء به فى ظلمات البر والبحر .

كما أنه سبحانه وتعالى هو الذى هدى بنى آدم إلى ما فى بطون الأنعام من ألبان وما فى بطون النحل من عسل فيه شفاء للناس . أفمن يخلق كمن لا يخلق فتبارك الله أحسن الخالقين .

وعلم الله بنى آدم ، اتخاذ المسكن والأثاث ، وصناعة الدروع وكيف تجرى عملية التلقيح والإخصاب بين النباتات ، كل ذلك بأمره وتوفيقه ومن رحمته ببنى آدم ، ﴿ كذلك يتم نعمته عليكم لعلكم تسلمون ﴾(٢)



---

(١) ومن هنا يتبين لنا فساد مناهج ومصادر ومراجع ما يسمى بالتاريخ القديم ، لأنها تحمل فكرا يناهض العقيدة الإسلامية ، فهل يجوز للمسلمين بعد ذلك البيان أن يسمحوا لأبنائهم فى الجامعات والمدارس أن يتربوا على ذلك الفكر العلمانى الذى يهدف أعداء الإسلام من وراء تدريسه إلى تربية أجيال لا تعرف لها ربا ولا ترتضى لها دينا .

(٢) النحل : ٨١ .

الجزء الثالث
قصة ابنى آدم وبداية الانحراف فى المجتمع البشرى الأول

وعى آدم (١) العلم الذى علمه ربه إياه ، وعلمه لأبنائه ، فعلمهم كيف يعبدون الله وحذرهم الشيطان الذى كان وراء إغوائهما ونزولهما من الجنة إلى الأرض .

وكان من أبناء آدم من وعى تجربة أبيه وامتثل لله ، وحرص على التقرب منه سبحانه وتعالى ، ومنهم من أغواه الشيطان وملأ قلبه بالحقد ، ودفعه إلى مخالفة أوامر ربه عز وجل ، بل إلى ارتكاب جريمة يتنزه المؤمنون عن ارتكابها : وفى قصة ابنى آدم (٢) بيان :

﴿ واتل عليهم نبأ ابنى آدم بالحق إذ قربا قربانا فتقبل من أحدهما ولم يتقبل من الآخر قال لأقتلنك قال إنما يتقبل الله من المتقين ﴾ أى قال قابيل لأخيه هابيل لأقتلنك قال — لم ؟ لأنه تقبل قربانك ولم يتقبل قربانى قال : وما ذنبى ؟ إنما يتقبل الله ممن اتقى ربه وأخلص نيته ﴿ لئن بسطت إلى يدك لتقتلنى ما أنا بباسط يدى إليك لأقتلك ﴾ أى لئن مددت إلى يدك ظلما لأجل قتلى ما كنت لأقابلك

---

(١) وقد عمر ألف سنة (البداية والنهاية ، جـ ١ ، ٨٩ ، كما أنه كان نبيا مرسلا لما رواه ابن حبان فى صحيحه عن أبى ذر قال قلت يا رسول الله : كم الأنبياء قال : « مائة ألف وأربعة وعشرون ألفا . قلت : يا رسول الله كم الرسل ؟ قال : ثلاثمائة وثلاثة عشر جم غفير . قلت يا رسول الله : من كان أولهم ؟ قال : آدم قلت : يا رسول الله نبى مرسل ؟ قال : نعم خلقه الله بيده ثم نفخ فيه من روحه ثم سواه قبلا .

وآدم عليه السلام فى السماء الدنيا لما ورد فى حديث الإسراء الذى فى الصحيحين أن رسول الله ﷺ لمّا مر بآدم وهو فى السماء الدنيا قال له : مرحبا بالابن الصالح والنبى الصالح قال : وإذا عن يمينه أسودة وعن يساره أسودة . فإذا نظر عن يمينه ضحك وإذا نظر عن شماله بكى . فقلت : يا جبريل ما هذا ؟ قال : هذا آدم وهؤلاء نسم بنيه . فإذا نظر قبل أه[illegible] أهل الشمال وهم أهل النار بكى (البداية والنهاية ، جـ ١ ، ٩٧) .

(٢) المائدة : ٢٧ — ٣٢ .

بالمثل . ﴿ إنى أخاف الله رب العالمين ﴾ أى لا أمد يدى إليك لأنى أخاف الله رب العالمين . ﴿ إنّى أريد أن تبوء بإثمى وإثمك فتكون من أصحاب النار وذلك جزاء الظالمين . فطوعت له نفسه قتل أخيه فقتله فأصبح من الخاسرين ، فبعث الله غرابا يبحث فى الأرض ليريه كيف يوارى سَوْءَةَ أخيه ﴾ . أى بعث الله غرابين فاقتتلا حتى قتل أحدهما صاحبه ثم حفر له فدفنه ، وكان ابن آدم أولَ من قتل ، وروى أنه لما قتله تركه بالعراء ولم يدر كيف يدفنه حتى رأى الغراب يدفن صاحبه فلما رآه قال ﴿ ياويلتى أعجزت أن أكون مثل هذا الغراب فأوارى سوأة أخى ﴾ أى قال قابيل متحسرا يا ويلى ويا هلاكى أضعف أن أكون مثل هذا الطير فأستر جسد أخى فى التراب كما فعل هذا الغراب ﴿ فأصبح من النادمين ﴾ أى صار نادما على عدم الاهتداء إلى دفن أخيه ﴿ من أجل ذلك كتبنا على بنى إسرائيل أنه من قتل نفسا بغير نفس أو فسادٍ فى الأرض ﴾ أى من أجل حادثة قابيل وهابيل وبسبب قتله لأخيه ظلما فرضنا وحكمنا على بنى إسرائيل أنه من قتل منهم نفسا ظلما بغير أن يقتل نفسا فيستحق القصاص وبغير فساد يوجب إهدار الدم كالردة وقطع الطريق ﴿ فكأنما قتل الناس جميعا ﴾ من حيث أن هتك حرمة الدماء وسن القتل .

وفى هذا قال رسول الله ﷺ : « لا تقتل نفس ظلما إلا كان على ابن آدم الأول كفل من دمها لأنه كان أول من سن القتل » (١) .

وفاة آدم وخلافة شيث عليه السلام – نبوة إدريس عليه السلام :

ويبدو أن واقعة ابنى آدم حدثت فى حياة آدم عليه السلام ، وأن الله سبحانه وتعالى قد أخلف عليه بابن صالح هو شيث عليه السلام ، وكان نبيا ، وأنزل عليه خمسون صحيفة . وهو أول بنى آدم الذين أعطوا النبوة بعد آدم . وشيث هو إدريس عليه السلام . ويقال أنه أول من خط بالقلم وقد أدرك من حياة آدم ثلاثمائة سنة وثمانية سنين . وقد رآه محمد ﷺ فى السماء الرابعة حينما

---

(١) رواه الجماعة سوى أبى داود (البداية والنهاية ، جـ ١ ، ٩٤ ، فتح البارى ، جـ ٦ ، ص ٣٦٤ .

عرج به إلى السماء . وقد رحب بمحمد ﷺ قائلا مرحبا بالأخ الصالح والنبى الصالح (١) .

ولما توفى آدم عليه السلام وكان ذلك يوم الجمعة . جاءت الملائكة بحنوط وكفن من عند الله عز وجل من الجنة . وعزوا فيه ابنه ووصيه شيثا عليه السلام . وقيل أن آدم لمّا حضره الموت قال لبنيه أى بنى إنّى أشتهى من ثمار الجنة قال : فذهبوا يطلبون له فاستقبلتهم الملائكة ومعهم أكفانه وحنوطه ومعهم القوس والمساحى والمكاتل فقالوا لهم يا بنى آدم ما تريدون وما تطلبون أو ما تريدون وأين تطلبون قالوا أبونا مريض واشتهى من ثمار الجنة . فقالوا لهم ارجعوا فقد قضى أبوكم فلما رأتهم حواء عرفتهم فلاذت بآدم فقال إليك عنى فإنى إنما أتيت من قبلك فخلى بينى وبين ملائكة ربى عز وجل فقبضوه وغسلوه وكفنوه وحنطوه وحفروا له ولحدوه وصلوا عليه . ثم أدخلوه قبره ووضعوه فيه . ثم حثوا عليه . ثم قالوا يا بنى آدم هذه سنتكم (٢) .



---

(١) كما ثبت فى الصحيحين فى حديث الإسراء (البداية والنهاية ، جـ ١ ، ٩٩ ، فتح البارى ، جـ ٦ ، ص ٣٧٤ .

(٢) البداية والنهاية ، جـ ١ ، ٩٨ . أى أن الله أرسل لبنى آدم من يعلمهم الغسل للميت والتكفين واللحد والصلاة عليه .

وهذا هو المشروع . ومعنى ذلك أنه لا شرعية لمن يبنى المقابر الفخمة كالأهرامات وغيرها ، لأنهم قد عرفوا منذ البداية كيف يدفنون موتاهم طبقا للشرع ، وذلك يعكس لنا مدى الانحراف الذى وصلت إليه البشرية الآن وهى تدفن موتاها .

وقد ورد أن آدم عليه السلام عمّر ألف سنة (البداية والنهاية ، جـ ١ ، ٨٩ ، وقد شاهده الرسول محمد ﷺ فى السماء الدنيا ليلة الإسراء والمعراج ، فتح البارى ، جـ ٦ ، ص ٣٧٤ .

الخلاصة

أولا : لما كان آدم وزوجه وبنوه يشكلون نواة المجتمع البشرى المسلم الأول ، فإن هذه النواة هي البداية الحقيقية لتاريخ الأمة المسلمة ، وذلك يعني أن تاريخ الأمة المسلمة عمره على الأقل ، بضعة آلاف عام (بداية بآدم وحتى الآن) وليس أربعة عشر قرنا من الزمان فقط ، ومن هنا يتضح خطأ كل المناهج والمصادر والمراجع التاريخية التي تجعل تاريخ الأمة المسلمة محصورا في الفترة من بعثة محمد ﷺ وحتى الآن .

ثانيا : أن الأساس الذى فطر عليه الكون هو الإسلام ، والأساس الذى فطر عليه أبناء آدم هو الإسلام ، وبه أرسل جميع الأنبياء والمرسلون . وهو الدين الواحد الذى لا يقبل الله من الأولين أو الآخرين غيره : ﴿ ومن يبتغ غير الإسلام دينا فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين ﴾ .

ومن هنا يتبين لنا فساد منهج ما يسمى بمقارنة الأديان الذى يصور الإنسان على أساس أنه قد تطور في معتقده كما تطور في صناعاته ، ويصور الدين على أنه من اختراع العقل البشرى ، وأن محمدا ﷺ قد ألف من النصرانية واليهودية والعقائد الجاهلية دينا هو الإسلام .

ويتبين لنا أيضا أن اليهودية كفر ، والمسيحية كفر وأنه ليس هناك دليل واحد من القرآن أو السنة على أن هنالك رسول قد دعا إلى يهودية أو نصرانية ، ولكن الرسل جميعا دعوا إلى دين واحد هو الإسلام .

يؤكد ذلك ما ذكرنا ، وما ورد في ، « اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أهل الجحيم » ، تأليف شيخ الإسلام ابن تيمية ، ص ٤٥٠ – ٤٥١ . وقوله تعالى : ﴿ ومن يبتغ غير الإسلام ... الآية ﴾ عام في الأولين والآخرين بأن دين الإسلام هو دين الله الذى جاء به أنبياؤه وعليه عباده المؤمنون . كما ذكر الله ذلك في كتابه ، من أول رسول بعثه إلى أهل الأرض نوح ، إبراهيم ، وإسرائيل ، وموسى وسليمان وغيرهم من الأنبياء والمؤمنين .

قال الله تعالى في حق نوح (يونس : ٧١ ، ٧٢) : ﴿ واتل عليهم نبأ نوح ، إذ قال لقومه : يا قوم إن كان كبر عليكم مقامي وتذكيرى بآيات الله ؟ فعلى الله توكلت فأجمعوا أمركم وشركاءكم ، ثم لا يكن أمركم عليكم غمة ، ثم اقضوا إليّ ، ولا تنظرون ﴾ [١] .

وقال تعالى في إبراهيم وإسرائيل : (البقرة : ١٣٠ ، ١٣٣) : ﴿ ومن يرغب عن ملة إبراهيم إلا من سفه نفسه ، ولقد اصطفيناه في الدنيا وإنّه في الآخرة لمن الصالحين . إذ قال له ربّه أسلم . قال أسلمت لرب العالمين ، ووصى بها إبراهيم بنيه ويعقوب : يا بني إن الله اصطفى لكم الدين فلا تموتن إلا وأنتم مسلمون . أم كنتم شهداء إذ حضر يعقوب الموت إذ قال لبنيه ما تعبدون من بعدى ، قالوا : نعبد إلٰهك وإله آبائك : إبراهيم وإسماعيل وإسحاق إلٰها واحدا ، ونحن له مسلمون ﴾ .

وقال تعالى عن يوسف (يوسف : ١٠١) : ﴿ رب قد آتيتني من الملك ، وعلمتني من تأويل الأحاديث ، فاطر السموات والأرض ، أنت وليّ في الدنيا والآخرة توفني مسلما ، وألحقني بالصالحين ﴾ .

وقال تعالى عن موسى وقومه (يونس : ٨٤) ﴿ وقال موسى لقومه : يا قوم إن كنتم آمنتم بالله فعليه توكلوا إن كنتم مسلمين ﴾ .

وقال في أنبياء بني إسرائيل (المائدة : ٤٤) : ﴿ إنا أنزلنا التوراة فيها هدى ونور ، يحكم بها النبيون الذى أسلموا للذين هادوا والربانيون والأحبار ... الآية ﴾ .

وقال الله تعالى عن بلقيس (النمل : ٤٤) : ﴿ رب إني ظلمت نفسي ، وأسلمت مع سليمان لله رب العالمين ﴾ .

وقال الله تعالى عن أمة عيسى (المائدة : ١١١) : ﴿ وإذ أوحيت إلى الحواريين [٢] : أن آمنوا بي وبرسولي قالوا : آمنا واشهد بأنّنا مسلمون ﴾ .

---

(١) المعنى : احكموا عليّ بما شئتم ولا تمهلونى أو تأخذوني فأنا لا أخافكم ولا أخشاكم ، وحسبي أن الله معي ونعم الوكيل .

(٢) هم الخلص الكمل من أصحاب عيسى بن مريم ، سموا بالحواريين لصفاء نفوسهم ونقاء سرائرهم .

وقال تعالى (النساء : ١٢٥) : ﴿ ومن أحسن دينا ممن أسلم وجهه لله وهو محسن ، واتبع ملة إبراهيم حنيفا واتخذ الله إبراهيم خليلا ﴾ .

وقال تعالى (البقرة : ١١١ ، ١١٢) : ﴿ وقالوا : لن يدخل الجنة إلا من كان هودا أو نصارى ، تلك أمانيهم ، قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين ، بلى من أسلم وجهه لله وهو محسن فله أجره عند ربه ، ولا خوف عليهم ولاهم يحزنون ﴾ .

وقد فسر إسلام الوجه بما يتضمن إخلاص قصد العبد لله بالعبادة له وحده ، وهو محسن بالعمل الصالح المشروع والمأمور به .

* * *

وفي موضع آخر (ص ٤٥٤ - ٤٥٦) يقول شيخ الإسلام :

ولفظة الإسلام : يتضمن الاستسلام والانقياد ، ويتضمن الإخلاص ، مأخوذ من قوله تعالى (الزمر : ٢٩) : ﴿ ضرب الله مثلا رجلا فيه شركاء متشاكسون ورجلا سلما لرجل ﴾ . فلابد في الإسلام من الاستسلام لله وحده ، وترك الاستسلام لما سواه . وهذه حقيقة قولنا : (لا إله إلا الله) . فمن استسلم لله ولغير الله فهو مشرك والله لا يغفر أن يشرك به ، ومن لم يستسلم له فهو مستكبر عن عبادته ، وقد قال تعالى (غافر : ٦٠) : ﴿ وقال ربكم : ادعوني أستجب لكم ، إن الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين ﴾ .

وثبت عنه ﷺ في الصحيح أنه قال : « لا يدخل الجنة من في قلبه مثقال ذرة من كبر ولا يدخل النار من كان في قلبه مثقال ذرة من إيمان فقيل له : يا رسول الله ، الرجل يحب أن يكون ثوبه حسنا ونعله حسنا ، أفمن الكبر ذاك ؟ قال : لا إن الله جميل يحب الجمال . الكبر بطر الحق ، وغمط الناس » . بطر الحق (جحده ودفعه) وغمط الناس (ازدراؤهم واحتقارهم) .

فاليهود موصوفون بالكبر ، والنصارى موصوفون بالشرك قال الله تعالى في نعت اليهود (البقرة : ٨٧) : ﴿ أفكلما جاءكم رسول بما لا تهوى أنفسكم استكبرتم ﴾ .

وقال في نعت النصارى (التوبة : ٣١) : ﴿ اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله والمسيح ابن مريم ، وما أمروا إلا ليعبدو إلٰها واحدا ، لا إله إلا هو سبحانه عما يشركون ﴾ .

ولهذا قال الله تعالى في سياق الكلام مع النصارى (آل عمران : ٦٤) : ﴿ قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم : ألا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله ، فإن تولوا فقولوا : اشهدوا بأنّا مسلمون ﴾ .

وقال تعالى في سياق تقريره للإسلام وخطابه لأهل الكتاب (البقرة : ١٣٦ ، ١٤٠) : ﴿ قولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا ، وما أنزل إلى إبراهيم وإسماعيل ، وإسحاق ويعقوب والأسباط وما أوتي موسى وعيسى ، وما أوتي النبيون من ربهم لا نفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون فإن آمنوا بمثل ما آمنتم به فقد اهتدوا ، وإن تولوا فإنما هم في شقاق .... إلى قوله ... وما الله بغافل عما تعلمون ﴾ .

ولما كان أصل الدين الذى هو دين الإسلام واحدا ، وإن تنوعت شرائعه ، قال النبي ﷺ فى الحديث الصحيح : « إنا معاشر الأنبياء ديننا واحد » . و « الأنبياء إخوة لعلات [1] ، وإنّ أولى الناس بابن مريم لأنا ، فليس بيني وبينه نبي » .

فدينهم واحد . وهو عبادة الله وحده لا شريك له وهو يعبد في كل وقت بما أمر به في ذلك الوقت . وذلك هو دين الإسلام في ذلك الوقت .

وتنوع الشرائع في الناسخ والمنسوخ من المشروع كتنوع الشريعة الواحدة . فكما أن دين الإسلام الذى بعث الله به محمدا ﷺ هو دين واحد ، مع أنه قد كان في وقت يجب استقبال بيت المقدس في الصلاة ، كما أمر النبي بذلك بعد الهجرة ببضعة عشر شهرا ، وبعد ذلك يجب استقبال الكعبة ويحرم استقبال الصخرة .

---

(١) هم الأخوة لأب وأمهاتهم شتى .

فالدين واحد كما قال تعالى : ﴿ إن الدين عند الله الإسلام ﴾ .

وإن تنوعت القبلتين في وقت من أوقاته ، ولهذا شرع الله تعالى لبني إسرائيل السبت ثم نسخ ذلك وشرع لنا الجمعة ، فكان الاجتماع يوم السبت واجبا إذ ذاك ثم صار الواجب : هو الاجتماع يوم الجمعة وحرّم الاجتماع يوم السبت .

فمن خرج عن شريعة موسى قبل النسخ : لم يكن مسلما . ومن لم يدخل في شريعة محمد ﷺ بعد النسخ لم يكن مسلما .

ولم يشرع الله لنبي من الأنبياء أن يعبد غير الله البتة . قال تعالى (الشورى : ١٣) : ﴿ شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذى أوحينا إليك ، وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه كبر على المشركين ما تدعوهم إليه

فأمر الرسل أن يقيموا الدين ولا يتفرقوا فيه ». (انتهى كلام ابن تيمية) .

ومن هنا يتبين لنا أيضا عدم جواز الدعوة إلى ما يُسمى بمؤتمرات التقارب بين الأديان ، لأن البشرية كلها مطالبة بالدخول في الإسلام : ﴿ قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئا ، ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله ، فإن تولوا فقولوا : اشهدوا بأنا مسلمون ﴾ .

ثالثا : وحدة الأصل البشرى ، فالناس كلهم لآدم وآدم من تراب : ﴿ يا أيها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء واتقوا الله الذى تساءلون به والأرحام إن الله كان عليكم رقيبا ﴾[١]

ومعيار المفاضلة بين بني آدم هو التقوى : ﴿ إن أكرمكم عند الله أتقاكم ﴾[٢] .. « لا فضل لعربى على عجمي ولا لأبيض على أسود إلا بالتقوى » .

---

(١) النساء : ١

(٢) الحجرات : ١٣

ومن هنا فإن الدراسات العرقية [1] والجنسية التي يركز عليها المشتغلون بالتاريخ والآثار غير جائزة شرعا ولا ضرورة لها ، لأنها تعين على إحياء النعرات الإقليمية والعصبية ، لكونها تفاضل بين بني آدم على أساس العرق ، فهذا حامي وذاك آرى وثالث سامي ، كما أنه لا يترتب عليها عمل بل هي تعين على ضياع أوقات وجهود أبناء آدم فيما لا يعود عليهم بالنفع بل يعود عليهم بالذنوب التي تمحق الأعمال في الدنيا وتؤدى بصاحبها في الآخرة إلى النار .

رابعا : فساد كل المناهج والمراجع والمصادر التاريخية التي تقسم تاريخ أبناء آدم إلى تاريخ قديم ووسيط وحديث ، والتي تعالج التاريخ القديم على أساس أنه تاريخ وثني جاهلي محض لا أثر فيه لدعوة الرسل ، ولا أثر فيه لدين الإسلام ، ولا أثر فيه لأناس عاشوا وماتوا على الإسلام .

مثال ذلك : تاريخ الشرق الأدنى القديم (تاريخ مصر الفرعونية ، تاريخ العراق القديم ، تاريخ إيران القديم ، تاريخ العرب قبل الإسلام ، تاريخ الشام القديم ، تاريخ الحيثيين) . وتاريخ أوربا منذ أقدم العصور (اليونان والروم) .

وتيقن فساد مناهج ومراجع ومصادر التاريخ القديم يستوجب التصحيح ، هذا التصحيح يلزم المدرك بمعالجة تاريخ الشرق الأدنى القديم وتاريخ أوروبا منذ أقدم العصور على أساس أنه جزء من تاريخ الأمة المسلمة ، التي استقامت على أمر الله ، أو انحرفت وارتدت نتيجة لجهود الشيطان وحزبه الذى يحرص على اجتيال الأمة المسلمة عن دينها . وبمعنى أوضح : إن عرض تاريخ مصر منذ أقدم الدهور لا يجب أن يتم بمعزل عن رسالتي يوسف وموسى إلى شعب مصر ، إن عرض تاريخ العراق منذ أقدم الدهور لا يجب أن يتم بعزل عن سيرة نوح وإبراهيم ويونس عليهم السلام ، إن عرض تاريخ جزيرة العرب منذ أقدم الدهور لا يجب أن يتم بمعزل عن سيرة هود وصالح وشعيب وإبراهيم وإسماعيل عليهم السلام . إن دراسة

---

(١) وهي موضع اهتمام ما يسمى بعلم الأثنولوجي (السلالات البشرية) وتدخل أيضا تحت دائرة اهتمام ما يسمى بعلم الأنثروبولوجي ، انظر الجزء الأول من المجلد الأول لـ (قصة الحضارة) والمجلد الأول (معالم تاريخ الإنسانية) وموسوعة تاريخ العالم ومراجع التاريخ القديم ، والجغرافيا التاريخية .

تاريخ بلاد الشام لا يجب أن يتم بمعزل عن سيرة إبراهيم ولوط وإسحاق ويعقوب وداود وسليمان وعيسى عليهم السلام .... إلى غير ذلك . لأنّ دراسة تواريخ هذه الأمم بمعزل عن سير أنبيائها ، يؤدى إلى فصل التاريخ عن الإسلام ، وفصل الدين عن العلم ، والدين عن الحياة وهو ما لايجيزه الإسلام .

إن عرض هذا التاريخ من هذا المنطلق سوف يمكن الدارس والقارىء من التعرف على سمت الأمة المسلمة في كل زمان ومكان .... على مدار الزمان .... سوف يمكنه من التعرف على حقيقة الصراع بين الحق والباطل على مدار الزمان .... سوف يمكنه من التعرف على دور الإسلام ودور الأمة المسلمة منذ القدم ، وفي الحاضر والمستقبل .

على أن يوضع في الاعتبار أنه ليس هنالك مصادر يمكن الاعتماد عليها في دراسة تاريخ الأمة المسلمة وتاريخ أنبيائها في عصورهم الأولى إلا القرآن الكريم وسنة النبي محمد ﷺ ، وأنه — أيضا — من الخطأ الكبير والفاحش الاعتماد على التوراة والإنجيل وغيرها عند الكتابة والتاريخ للأمة المسلمة وأنبيائها ورسلها عليهم السلام .

إن عرض تاريخ أبناء آدم على هذا النحو سوف يضع القارىء والدارس والمعلم والمتعلم أمام صورة واضحة لمقومات المجتمع المسلم ، وصورة أخرى لمقومات المجتمع المشرك ، وصورة ثالثة للمجتمع المسلم الذى بدأت حياته تنحرف تدريجيا عن نظام الله وشرعه ، وصورة رابعة لمجتمع مشرك ، والخطوات التدريجية الوئيدة التي يخطوها الدعاة للعودة بحياة ذلك المجتمع إلى الإسلام .

وبهذا يصبح أمام الناظر في التاريخ ، صورتان واضحتان في تاريخ البشرية ، لا تخرج عنهما ، الأولى : صورة المجتمع المسلم ، والثانية : صورة المجتمع الجاهلي ، الأولى : صورة المجتمع المسلم المطالبة الأمة الإسلامية بإقامته على الأرض كلها ، وصورة المجتمع الجاهلي المطالبة الأمة الإسلامية بدعوته بجميع وسائل الدعوة المتاحة والتي بينها الكتاب والسنة — للدخول في دين الله وهو الإسلام .

---

(١) كما ورد في الحديث : « خلقت عبادى حنفاء فجاءتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم » .

وهي الصورة التي أعلم الله بها آدم عليه السلام ، وهي أنه سيكون من ذريته المجتمع المسلم ، والمجتمع الضال : ﴿ قلنا اهبطوا منها جميعا فإمّا يأتينكم مني هدى فمن تبع هداى فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون . والذين كفروا وكذبوا بآياتنا أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون ﴾ .

خامسا : إن العلوم الإنسانية – ومنها التاريخ – موضوع بحثها الإنسان ، والإنسان مخلوق ، وخالقه الله رب العالمين ، ولذلك فإن دراسة وكتابة وعرض تاريخ هذا الإنسان لابد وأن تكون محكومة بالنظام والمنهج الذى ارتضاه الله خالق ورب هذا الإنسان للإنسان . وسيكون المنهج موضوع رسالة أخرى قادمة بحول الله وقوته .

سبحانك اللهم وبحمدك نشهد أن لا إله إلا أنت
نستغفرك ونتوب إليك . وصلى الله على سيدنا
محمد وعلى آله وصحبه وسلم .



المصـــادر[1] والمراجـــع :

- القرآن الكريم
- أبو جعفر محمد بن جرير الطبرى ، جامع البيان عن تأويل آى القرآن ، الشهير بـ « تفسير الطبرى » . دار المعرفة ، بيروت ١٣٩٢ هـ .
- أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصارى القرطبي ، الجامع لأحكام القرآن ، الشهير بـ « تفسير القرطبي » . دار إحياء التراث العربي ، بيروت ١٩٦٦ م .
- الإمام الجليل الحافظ عماد الدين أبي الفداء : إسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي (ت ٧٧٤ هـ) ، تفسير القرآن العظيم ، والشهير بـ « تفسير ابن كثير » ، دار الفكر ، بيروت .
- مختصر تفسير ابن كثير ، (مختصر لتفسير الإمام الجليل الحافظ عماد الدين أبي الفداء إسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي) ، اختصار وتحقيق محمد علي الصابوني ، دار القرآن الكريم ، بيروت ١٤٠٢ هـ .
- سيد قطب ، في ظلال القرآن ، دار الشروق ، بيروت ١٣٩٣ هـ .
- صحيح أبي عبد الله البخارى .
- مختصر صحيح مسلم ، للإمام أبي الحسين مسلم بن الحجاج القشيرى النيسابورى ، للحافظ زكي الدين عبد العظيم بن عبد القوى بن سلامة المنذرى الدمشقي ، تحقيق محمد ناصر الدين الألباني ، ط ٣ ، المكتب الإسلامي ١٣٩٥ هـ .
- المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوى عن الكتب الستة وعن مسند الدارمي وموطأ مالك ومسند أحمد بن حنبل ، ابتدأ ترتيبه وتنظيمه ونشره أ . ى .

---

(١) مراجع موثقة سقطت اثناء الرصد : جهاد شعب فلسطين فى نصف قرن تأليف صالح مسعود أبوبصير ؛ قذائف الحق ، والإسلام فى وجه الزحف الأحمر تأليف الشيخ محمد الغزالى ؛ والإسلام تأليف الشيخ سعيد حوى ؛ ومعالم فى الطريق تأليف الشيخ سيد قطب ، العدد ٢٣٢ من مجلة المجتمع الكويتية لعام ١٣٩٥ ، مذكرة فى الثقافة الإسلامية للدكتور عبدالرحمن باردو جامعة الملك عبدالعزيز

ونستك و ى . ب . منسينج واتبع نشره ى . بروخمان ، مطبعة بريل ، ليدن ١٩٦٩ م .

- فتح البارى بشرح صحيح البخارى ، تأليف أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (٧٧٣ - ٨٥٢) ، عاون في إخراجه وطبعه محمد فؤاد عبد الباقي ومحب الدين الخطيب ، دار المعرفة ، بيروت .
- الرسالة التدمرية في تحقيق أسماء الله وصفاته وبيان حقيقة الجمع بين الشرع والقدر ، تأليف شيخ الإسلام ابن تيمية ، ط ٣ ، المطابع السلفية ، القاهرة .
- اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم ، تأليف شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى (٦٦١ - ٨٢٨ هـ) مطابع المجد التجارية .
- الاتجاهات الوطنية فى الأدب المعاصر ، جـ ١ ، جـ٢ ، تأليف د. محمد محمد حسن ، دار النهضة العربية بيروت .
- أبو جعفر محمد بن جرير الطبرى (ت ٣١٠ هـ) ، تاريخ الرسل والملوك الشهير بتاريخ الطبرى ، دار المعارف ، القاهرة (يجب اخضاع رواياته للجرح والتعديل قبل الاعتماد عليها)
- الإمام الجليل الحافظ عماد الدين أبي الفداء ، إسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي ، البداية والنهاية ، مكتبة المعارف ، بيروت .
- أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني المعروف بابن الأثير الجزرى الملقب بعز الدين المتوفى سنة ٦٣٠ هـ (صحح أصوله وكساه ملاحظات الشيخ عبد الوهاب النجار) ، الكامل في التاريخ ، القاهرة ١٣٤٨ هـ يجب إخضاع ماجاء للجرح والتعديل قبل الاعتماد على ماجاء به وخاصة المجلد الأول .
- ابن قيم الجوزية ، زاد المعاد فى هدى خير العباد ، محمد خاتم النبيين وإمام المرسلين .
- مراجع يجب أن تخضع للجرح والتعديل لأن بعضها يحوى أخباراً تحمل اعتداءً على الله وعلى رسله وأنبيائه وعلى دين الله عز وجل ، والبعض الآخر يحوى تشويهاً وتزييفاً لأحداث التاريخ الإسلامى ومن هنا لا يجب الوثوق بها فيما يتصل بذلك التاريخ ويخرج عن هذه الدائرة الوثائق المترجمة عن النصوص القديمة ، بشرط أن تراجع الترجمة بدقة وأمانة .

- دائرة معارف القرن العشرين ، تأليف محمد فريد وجدى ، مطبعة الشعب ، القاهرة .
- دائرة المعارف الإسلامية ، قام بتأليفها مجموعة من المستشرقين .
- الموسوعة العربية الميسرة ، (أشرف على إعدادها د . محمد شفيق غربال) ، القاهرة ١٩٦٥ م .
- أرمان (أ .) ، رانكة (هرمان) « ترجمة د . عبد المنعم أبو بكر ، محرم كمال » ، مصر والحضارة المصرية في العصور القديمة ، القاهرة ١٩٥٣ م .
- أنطون مورتكات (ترجمة توفيق سليمان ، علي أبو عساف ، قاسم طوير) : تاريخ الشرق الأدنى القديم ، دمشق .
- أرمان (أدولف) « ترجمة د . محمد عبد المنعم أبو بكر ، د . محمد أنور شكرى » : ديانة مصر القديمة نشأتها وتطورها ، القاهرة ١٩٥٢ م .
- أحمد فخرى ، حضارة مصر الفرعونيه ، القاهرة .
- برستد (جيمس هنرى) ، « ترجمة د . أحمد فخرى » انتصار الحضارة ، القاهرة .
- برستد (جيمس هنرى) ، « ترجمة سليم حسن » ، فجر الضمير ، القاهرة .
- نفس المؤلف (ترجمة زكي سوس) ، تطور الفكر والدين في مصر القديمة ، القاهرة .
- توينبى (ترجمة رمزى عبده جرجس) تاريخ الحضارة الهيللينية ، القاهرة .
- توماس أرنولد (ترجمة حسن إبراهيم حسن وآخرون) : الدعوة إلى الإسلام ، القاهرة .
- دريتون ، فانديه ترجمة عباس بيومى ، مصر .
- توفيق الحكيم ، سليمان الحكيم ، القاهرة .

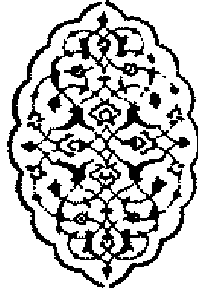
- جون ولسون (ترجمة د . أحمد فخرى) ، الحضارة المصرية القاهرة ١٩٥٣
- جرني (أ . د .) ترجمة د . محمد عبد القادر ، تقديم فيصل الوائل ، الحيثون ، القاهرة ١٩٦٣ م .
- جرجي زيدان ، العرب قبل الإسلام ، القاهرة .
- نفس المؤلف ، تاريخ التمدن الإسلامي ، القاهرة .
- جواد علي ، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام العراق ١٩٧٠ م .
- جون هامرتن (أشرف على إعداد) تاريخ العالم .
- جوستاف لوبون (ترجمة عادل زعيتر) ، حضارة العرب ، مطبعة عيسى البابي الحلبي ، القاهرة .
- د . حسن إبراهيم حسن ، تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي ، جـ ١ ، مكتبة النهضة المصرية ، ط ٨ ، ١٩٧٤ م
- دى بورج (و . ج .) ، « ترجمة زكي سوس ، مراجعة د . يحيى الخشاب ، د . محمد صقر خفاجة » ، تراث العالم القديم ، القاهرة ١٩٦٥ م .
- ديورانت (و . ل .) ترجمة محمد بدران ، قصة الحضارة ، إدارة التأليف والنشر بجامعة الدول العربية ، القاهرة .
- ديعلف نيلسن (ترجمة فؤاد حسنين) ، الديانة العربية القديمة : فصل من التاريخ العربي ، القاهرة ١٩٥٨ م ، ص ١٧٢ وما بعدها .
- شارف (أ .) ترجمة د . محمد عبد المنعم أبو بكر ، تاريخ مصر منذ فجر التاريخ ، القاهرة .
- سليم حسن ، مصر القديمة .
- سيديو (ل . أ) ، (ترجمة عادل زعيتر) ، تاريخ العرب العام ، القاهرة .
- د . صالح العلى ، محاضرات فى تاريخ العرب قبل الإسلام ، بغداد .
- طه حسين فى الأدب الجاهلى .

- عباس محمود العقاد ، الله .
- نفس المؤلف ، موسوعة العقاد الإسلامية ، جـ ١ ، دار الكتاب العربي ، بيروت ١٩٧٠ م .
- د . عبد العزيز السيد سالم ، العرب في الجاهلية ؛ العرب قبل الإسلام .
- فيليب حتي ، إدوارد جورجي ، جبرائيل جبور ، تاريخ العرب المطول ، بيروت ١٩٦١ م .
- لنتون (رالف) ، ترجمة د . أحمد فخرى ، شجرة الحضارة ، القاهرة .
- موسكاتي (س .) ، (ترجمة د . السيد يعقوب بكر) ، الحضارات السامية القديمة .
- محمد مبروك نافع ، تاريخ العرب ، عصر ما قبل الإسلام .
- محمد بيومى مهران (د .) دراسات تاريخية من القرآن الكريم فى بلاد العرب .
- محمد شفيق غربال وآخرون ، تاريخ الحضارة المصرية ، القاهرة .
- محمد السيد غلاب ، د . يسرى الجوهرى، الجغرافية التاريخية ، عصر ما قبل التاريخ وفجره ، القاهرة .
- محمد أنور شكرى وآخرون ، حضارة مصر والشرق القديم ، القاهرة .
- د . مصطفى عامر : في تاريخ الحضارة المصرية ، المجلد الأول ، القاهرة ١٩٦١ م .
- د . نجيب ميخائيل ، مصر والشرق الأدنى القديم ، ط ٣ ، دار المعارف .
- د . نيلسن ، ف . هومل ، (ودو كانكيس) أ . د . جرومان (ترجمة د . فؤاد حسنين علي ، د . زكي محمد حسين) ، التاريخ العربي القديم .
- ولز (أشرف علي إعداد) ، معالم تاريخ الإنسانية .
- نفس المؤلف ، موجز تاريخ الإنسانية .
- وليم لانجر ز (أشرف على إعداد) ، موسوعة تاريخ العالم .
- فانديبه (ج .) ، (ترجمة عباس بيومي) ، مصر ، القاهرة ١٩٥٦ م .

المراجع الأجنبية

وكلها تتصل بالتاريخ القديم

وتتبنى الخط الاستشراقى المُعادى للإسلام فهى تتجاهل بضعة آلاف عام من عمر التاريخ الإسلامى وتعالج أحداث التاريخ بمعزل عن الله سبحانه وتعالى وبمعزل عن الوحى والرسالات (إلى غير ذلك) ومن هنا لا يجب الاعتماد على ما جاء بها ، ويخرج من هذه الدائرة الوثائق الواردة بها والمترجمة عن النصوص القديمة ، بشرط أن تراجع النصوص ممن يوثق فى دينه وأمانته .



المراجع الأجنبية

وكلها تتصل بالتاريخ القديم

وتعالج تاريخ المسلمين قبل بعثة محمد على أنه تاريخ وثني جاهلي محض

- ARBERTY (A.J),THE LEGACY OF PERSIA, LONDON.
- ALBRICHT (W.F.) FROM THE STONE AGE, 1946;the
- ARCHAEALOGY OF PALESTINE 1961.

- BAUMGARTEL, THE CULTURES OF PREHISTORIC EGYPT.
- BRAIDWOOD (R.J.)THE WORLD'S FIRST FORMING VILLAGES , ILLUSTRATED LONDON NEWS, APRIL 28,1956.
- BREASTED (J.H.) ANCIENT RECORDS. A HISTORY OF EGYPTE FROM THE EARLIEST TIMES TO THE PERSIAN CONQUEST.
- BREASTED (J.H), THE DAWN OF CONSCIENCE.
- BREASTED (J.H.), DEVELOPMENT OF RELIGION AND THOUGHT IN ANCIENT EGYPT, LONDON 1912.

- CYRIL (A.), EGYPT TO THE END OF THE OLD KINGDOM.
- CHILDE (V.G.), NEW LIGHT ON THE MOST ANCIENT EAST.
- CORNWALL (P.B.), EXPLANATIONS IN HASA, THE GEOGRAPHICAL JOURNAL, JAN.FEB.1946.
- COWN (TH.D.Mc.) AND KEITH (A.).THE STONE AGE.
- CATON-THOMPSON G.& GARDINER (E.W.), CLIMATE IRRIGATION AND EARLY MAN IN HADARAMAAUT GEOGRAPHICAL GOURNAL, 93 (·1939).

- DRIVER (G.R.).THE ASSYRIAN LAWS,

- FRANFORT (H.), THE BIRTH OF CIVILISATION IN THE NEAR EAST.

- GARDINER (A.H.), EGYPT OF THE PHAROAHS.
- GARRAD (D.A.E) AND OTHERS, THE STONE AGE OF MOUNTAIN CARMAL , 1937.

- HOOKE(H.) BABYLONIAN AND ASSYRIAN RELIGION.
- HEIDEL (A.), THE GILGAMESH EPIC AND THE OLD TESTAMENT PARALLELS.
- HALL (H.R.), THE ANCIENT HISTORY OF THE NEAR EAST.
- HONOR (L.L.) SENNACHERIB'S OF PALESTINE.
- HUZAYYIN (S.A.), THE PLACE OF EGYPT INPREHISTORY CAIRO 1941.
- HUZAYYIN (S.A.) ARABIA AND THE FAR EAST, CAIRO 1942.

- INAGDON, SEMETIC MYTHOLOGY.

- JEQUIER , CONSIDERATIONS SUR LES RELIGIONS EGYPTIENNES.
- JEAN (C.) ARCHIVES ROYALES DE MARIA.

- KANTOR (H.J.), THE EARLY RELATIONS OF EGYPT WITH ASIA.
- KING (L.W.), THE LETTERS AND INSCRIPTIONS OF HAMMURABI.
- KING (L.W.), A HISTORY OF SUMMER AND AKKAD.

- LUCAS (A.), ANCIENT EGYPTIAN MATERIALS AND INDUSTRIES.
- LUCKENBILL (D.), THE ANNALS OF SENNACHERB.

- LUCKENBILL (D.), ANCIENT RECORDS OF ASSYRIA AND BABYLONIA.
- LEONARD WOOLLEY (G.), UR EXCAVATIONS, THE ROYAL CEMETRY, 1934.
- LEONARD WOOLLEY (C.), CARCHEMISH.
- LABAT (R.), LA POEME BABYLONIEN DÈ LA CREATION.
- LAGRANGE (MARIE JOSEPH), ETUDES SUR LES RELIGIONS SEMETIQUES , PARIS.
- LANGDON (ST.), BABYLONIAN WISDOM,
- LODS (L.A.) ISRAEL FROM ITS BEGINING TO THE MIDDLE OF THE EIGHTH CENTURY,
- LODS (A.), THE PROPHETS AND RISE OF JUDAISM.
- LAMBERT (W.G.), BABYLONIAN WISDOM LITERATURE OXFORD 1960.

- MENGHIN (O.) WELT GESCHICHTE DU STEINCIENT: WIEN 1931.
- MASPARO (G.) LES ENSEIGNEMENTS D'AMENEHAIT, 1 er, 1914,
- MASSAULARD (E.), PREHISTOIRE ET PROTOHISTOIRE D'EGYPT, 1940.
- MONTET, BYBLES ET L'EGYPT, 1928.
- MORET (A.), LE JUGEMENT DU ROI DANS LESTEXTES DES PYRAMIDES.
- MOSCATI (S.), THE FACE OF THE ANCIENT ORIENT.
- MOSCATI (S.) ANCIENT SEMITES IN ANCIENT HISTORY.
- MORET (A.), CARACTERES RELEGYEUX DE LA ROYALTTE PHORAONIQUE, PARIS.
- MAYERS (J), CAMBRIDE ANCIENT HISTORY, I, 79..

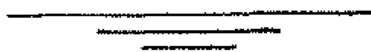
- PEAKE, THE ORIGINS OF AGRICULTURE, 1928 THE BEGININGS OF AGRICULTURE, 1931.
- PETRIE (W.E.), PREHISTORIE EGYPTE.
- PAUL DHORME,CHAIOX DES TEXTES RELEGIEUX ASSYRA-BABYLONIENS,

- RIVET (P.), L'ORIGINE DE L'HOMME, 1954.
- ROBINSON (TH.H), A HISTORY OF ISRAEL.

- SANDFORP (K.S.) ARKELL (W.J.), PALAEOLITHIC MAN, II.
- SPEISER (E.A.), ANCIENT MESOPOTAMIA.
- SPEISER (E.A.), AKKADIAN MYTHS AND EPICS.
- SAGGS (H.W.F.), THE GREATNESS THAT WAS BABYLON.

- VANDIAR (J.) MANUEL D'ARCHCOLOCIE EGYPTIENNE, PARIS 1952.
- VANDIER (J.) LA RELIGION EGYPTIENNE, PARIS.

- WILBER (D.N.), IRAN PAST AND PRESENT, NEW JERSEY.
- WISSBACH (F.H.), DIE INSCHRIFTEN NEBUKHADNEZARS II IN WADI BRISSA AND UM NAHR EL-KELB, 1906.
- WELLHAUSEN, ISRAELITISCHE AND JUDISCHE GESCHICHTS, BERLIN, 1895.



فهرست الموضوعات

محتويات الرسالة

الموضـــوع	الصفحة
نحو تأصيل إسلامى للدراسات التاريخية (تمهيد) .	
ملامح المنهج الإسلامى للدراسات التاريخية تقديم بين يدى الرسالة .	
الفصل الأول	
المنطلق الأول : حيوانية الإنسان	(١٥ – ٢٤)
الفصل الثانى	
الجزء الأول :	
المنطلق الثانى : هدم الإسلام .	
(أ) التجاهل والتجهيل بالبداية الحقيقية لتاريخ الإسلام كدين .	
. بيان فساد تصور أصحاب هذه المنطلقات	(٢٥ – ٢٧)
الجزء الثانى :	
البداية الحقيقية لتاريخ الإسلام كدين :	
الكون المؤمن :	
فى القرآن الكريم .	
فى الحديث الشريف .	
دلالة هذه النصوص .	
النتيجـــة	(٢٨ – ٣٤)

الموضـــوع | الصفحة

الجزء الثالث :

البداية الحقيقية لتاريخ الأمة المسلمة أو تاريخ الأمة المسلمة كواقع تطبيقى لدين الإسلام يبدأ بخلق آدم مسلماً مؤمناً مفطوراً على الإسلام

— القرآن الكريم يؤكد أن الرسل جميعاً دعوا إلى دين واحد هو الإسلام ، وكذلك الحديث الشريف ، وعلى هذا الفهم كان علماء السلف .

— القرآن الكريم .

— الحديث الشريف .

— علماء السلف على الفهم بأن الإسلام هو الدين الذى دعا إليه رسل الله جميعاً .

— ماذا يترتب على هذا الفهم الصحيح الغائب تماماً عن مناهج ومصادر وأبحاث التاريخ .... (٣٥ — ٤٤)

الجزاء الرابع :

(ب) تبنى ما يسمى بمنهج علم الدين المقارن فى مناهج الدراسات التاريخية .... (٤٥ — ٥٣)

الفصل الثالث

الجزء الأول :

(جـ) التجاهل والتجهيل والتشويه المتعمد لصورة الخالق عز وجل ولسير الأنبياء والرسل عليهم السلام مع تجريحهم والتشكيك فى عدالتهم .

الموضـــوع	الصفحة
— نماذج من التشويهات التى تجرأ بها المشتغلون بالتاريخ على ذات الله سبحانه وتعالى .	
— وشوهوا بها تاريخ الرسل والأنبياء عليهم السلام	(٥٥ — ٦٣)
(د) المصادر والمراجع :	
— حرص معظم كتاب تاريخ الأنبياء والرسل على استبعاد القرآن الكريم وسنة النبى محمد ﷺ من بين المصادر المعتمد عليها .	
— الاعتماد على التوراة والتلمود والتفاسير والشروح القرآنية والإنجيل .	
— لماذا لا تعتمد التوراة والتلمود والتفاسير والشروح القرآنية والإنجيل كمصادر للتاريخ ؟ .	
— هل يجوز لمسلم أن يتلقى عن اليهود أو النصارى فيما يتصل بتفسير بواعث النشاط الإنسانى وبحركة التاريخ والسلوك ، وفيما يختص بالخلق والسلوك والقيم والموازين أو يختص بالمبادىء والأصول فى النظام السياسى والاجتماعى ؟؟	(٦٣ — ٧٥)
الجزء الثالث :	
نماذج للمعالجة الاستشراقية لبعض أحداث التاريخ الإسلامى :	
(أ) تاريخ الدولة السبأية .	
(ب) تاريخ مصر منذ أقدم العصور .	
(جـ) تاريخ الجزيرة العربية منذ أقدم الدهور	(٧٦ — ٨٠)

الموضـــوع الصفحة

الفصل الرابع

الجزء الأول :

نماذج من الموسوعات التاريخية والمراجع التى تعالج تاريخ الإنسان والدين بمعزل عن التصور الإسلامى :

أولا : تاريخ العالم .

ثانيا : معالم تاريخ الإنسانية .

ثالثا : موجز تاريخ العالم .

رابعا : الموسوعة الأثرية العالمية .... (٨١ – ٩١)

الجزء الثانى :

تاريخ الإنسان والدين والمدنيات فى ضوء التصور الإسلامى .

(أ) البداية الحقيقية لتاريخ الأمة المسلمة .

آدم وزوجه وأبناؤهما نواة المجتمع البشرى الأول المسلم فى التاريخ .

– قيام هذا المجتمع على توحيد الله والخضوع لنظامه وشرعه .

– وعلم آدم الأسماء كلها :

● الله يعلم بنى آدم كيف يسترون عوراتهم .

● الله سبحانه وتعالى يسخر الكون لبنى آدم ويذلل لهم الأرض وما عليها .

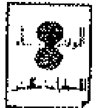
الموضـــوع	الصفحة
● الله سبحانه وتعالى يعلم بنى آدم الرعى .	
● الله سبحانه وتعالى سخر البحر وما فيه لبنى آدم كما علمهم صناعة السفن وركوب البحار .	
● الله سبحانه وتعالى يعلم بنى آدم كيف يضربون بين جنبات الأرض مهتدين بالنجوم وغيرها .	
● الله سبحانه وتعالى يهيىء الظل لبنى آدم .	
● الله سبحانه وتعالى يحيى الأرض لبنى آدم ، ويهديهم إلى ما فى بطون الأنعام من ألبان وإلى ما فى بطون النحل من شراب مختلف ألوانه .	
● الله سبحانه وتعالى هو الذى علم بنى آدم اتخاذ المسكن والأثاث .	
● الله سبحانه وتعالى يعلم بنى آدم صناعة الدروع .	
● الله سبحانه وتعالى يعلم بنى آدم تلقيح النباتات حتى يتم الإخصاب ، ويعلمهم كيف يسعون فى الأرض لطلب المعاش .	
● خلاصـة	(٩٢ – ١٠٢)
الجزء الثالث :	
قصة ابنى آدم وبداية الانحراف فى المجتمع البشرى الأول .	
– وفاة آدم وخلافة شيث .	
– إدريس عليه السلام	(١٠٣ – ١٠٥)
الخلاصـــة	(١٠٦ – ١١٣)
المصادر والمراجع	(١١٥ – ١٢٠)

رقم الإيداع بدار الكتب
١٩٨٦/١٦١٨
الترقيم الدولى
٩٧٧ - ١٤٢٠ - ٤٨ - ٨

مطابع الوفاء ـ المنصورة
شارع الإمام محمد عبده المواجه لكلية الآداب
ت : ٣٤٢٧٧٢١ - ص.ب : ٢٣٠
تلكس : ٢٤٠٠٤ DWFA UN

اقرأ فى سلسلة أخطاء يجب أن تصحح فى التاريخ :

- منهج كتابة التاريخ الإسلامى . لماذا ؟ وكيف ؟ .
- الإسلام دين الله فى الأرض وفى السماء .
- جزيرة العرب – الجزء الأول .
(سيرة هود وصالح وشعيب ولوط وسليمان وأصحاب الأخدود وأصحاب الفيل) .
- جزيرة العرب – الجزء الثانى .
(سيرة إبراهيم وإسماعيل وهاجر عليهم السلام وتاريخ حرم الله الآمن) .
- استخلاف أبو بكر الصديق رضى الله عنه .
- إفريقيا التى يراد لها أن تموت جوعاً .
- الطريق إلى بيت المقدس (القضية الفلسطينية) جزءان .



دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع - المنصورة ش.م.م

الإدارة والمطابع : المنصورة ش الإمام محمد عبده المواجه لكلية الآداب

ت ٣٤٢٧٢١ / ٣٥٦٢٣٠ / ٣٥٦٢٣٠

المكتبة : أمام كلية الطب ت ٣٤٧٤٢٣ ص . ب ٢٣٠ تلكس DWFA UN 24004

تطلب جميع منشوراتنا من :



دار النشر للجامعات المصرية - مكتبة الوفاء

٤١ ش شريف ت : ٣٩٢١٩٩٧ / ٣٩٣٤٦٠٦